مجلة شهرية

Issue No: 161 عدد:

January 2021 شهر كانون ثاني

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

المسيح

كلمة الله وحكمة الله

ميلاد ربّنا والهنا ومخلصنا يسوع ألمسيح بالجسد

فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ الأُلوهَةِ جَسَدِيًّا

(كولوسي ٢:٩)

الهروب الى مصر

مقتل أطفال بيت لحم

ختان الربّ يسوع

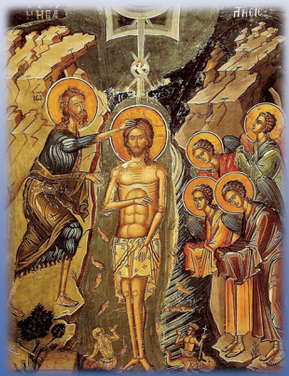

الظهور الإلهي - الغطاس

محتويات العدد

2	دَع صَلاة يسوع تَشدو ...
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	تهنئة قلبية لغبطة البطريرك
5	المال أصل كُل الشرور
6	الميلاد البتولي لكلمة الله
7	السقوط والعصيان
8	لمَّا حانَ مِلءُ الزمانِ
9	عجائب العذراء
10	ميلاد ربنا يسوع المسيح
11	-------
12	-------
13	المسكونيَّة
14	علامات الأزمنة الأخيرة
15	من أقوال القديس رومانوس
16	الصمت، الصحراء والصلاة
18	من رسالة الى أخ في العالم
19	الظهور الإلهي (الغطاس)
19	-------
20	-------
22	باقة من أقوال القديسين
23	القديس نكتاريوس
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

دَع صلاة يسوع تَشدو داخلك

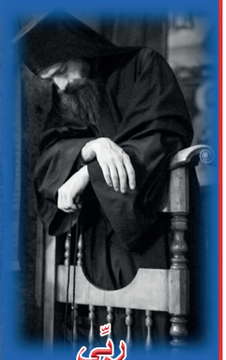

ربِّي
يسوع المسيح
ارحمني أنا
الخاطىء

❁ كُلّ نَظريَّةٍ تُجَرَّبُ عِلْمِيًّا في المعمل. هكذا إيماننا المسيحي.

❁ جَرِّب هذه التجربة. لِتَكُن آخر كلمات تنطقها كُلّ ليلة هي صلاة يسوع؛ « رَبِّي يسوع المسيح، إرحمني انا الخاطىء». إستسلم للنَّوم وعلى شَفَتَيْكَ تلك الكلمات. ما هو الشيء الأروع مِن أَنْ تختم يومك باسم يسوع؟

❁ وعندما تستيقظ في الصباح، لِتَكُن أَوَّل كلمات تنطقها هي صلاة يسوع. ما هو الشيء الأروع مِن أن تُرَحِّب بيومِكَ الجديد باسم يسوع؟

❁ وفي أثناء النوم، إن كنتَ تتكلَّم أو تجلس أو تمشي أو تعمل أو تأكل، أو تنشَغِل بأي طريقة ما، كَرِّر تلاوة صلاة يسوع أو اسم يسوع فقط، في حُبّ وتوقير وَهِيَام.

❁ **جَرِّبْ هذا الاختبار، واكتشف بِنفسِكَ لنفسِكَ ما اكْتَشَفَتْهُ أعدادٌ لا تُحصَى مِنْ قَبلِكَ، والذين كانت منهُم أميرة رومانيا الأميرة هيلانة، والتي كتبت:**

عندما استيقظ صباحًا، فإنَّ صلاة يسوع التي ابدأ بها تجعلني أستقبل اليوم الجديدَ بابتهاج.

عندما أطير في الجوّ أو أُسافر في الأرض أو أُبحِر في البحار، هي الصلاة التي تشدو داخِلي.

وعندما أَقِف على المنبر لأُواجه المستمعين، إنَّها هي الصلاة التي تُعطي الشجاعة.

وبعدَ انتهاء يومٍ شاق، بعده أخلد الى الرَّاحة، فَإِنِّي أُسَلِّم قلبي ليسوع وأقول:

« يا ربّ، بين يديك أستودع روحي».

وعندما أنام، فَإِنَّني مع دقات قَلبِي أُصَلِّي: «يسوع».

بعد أنْ تَتَنَقَّى قلُوبنا وافكارنا بواسطة صلاة يسوع، فَإِنَّ أفكارنا تَسبَح كما يسبح الدُّلفين السعيد في البحر الهادىء.

تُناشد جمعيّة نور المسيح الكهنة وجميع المؤمنين قُرَّاء هذا الإعلان، بإرسال موقع الجمعية لأكبر عددٍ ممكن من الأشخاص من خلال شبكات التواصل، ليتسنّى للراغبين في قراءة نشرات الآحاد والمجلّة الشهريّة، وخاصة لدى الأخوة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، في ظلّ هذه المرحلة مرحلة انتشار فيروس الكورونا. وكما قال ربّنا يسوع المسيح: «وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ». (مت ١٠ : ٤٢)

تتمنى جمعيّة نور المسيح لجميع المؤمنين حياة روحيّة وجسديَّة سليمة.

http://lightchrist.org/bulletins.html

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد ميلاد رَبِّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح في الجسد في مدينة بيت لحم 2019-12-25 ش.

رسالةُ صاحبِ الغِبطةِ
بطريرك المدينةِ المقدسةِ
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبةِ عيدِ الميلادِ المجيد
٢٠١٩

اليومَ بولادةِ المسيح، اتّحدَتِ السماءُ والأرضُ.

اليومَ حضرَ الإلهُ على الأرضِ وارتقى الإنسانُ إلى السّماواتِ.

اليومَ يُرى غيرُ المنظورِ بطبيعتِهِ منظورًا بالجسدِ لأجلِ الإنسانِ.

« ايذيومالا لِتين عيدالميلاد».

تُعَيِّدُ الكنيسةُ اليومَ في كلِّ العالمِ بِملءِ الفَرَحِ والابتهاجِ وفي شكرٍ وتمجيدٍ **لعيدِ أمِّ الأعيادِ، عيدِ ولادةِ ربِّنا وإلهِنا ومخلِّصِنا يسوعَ المسيحِ بالجسدِ منَ العذراءِ.**

وفي هذا العيدِ تُقدِّمُ الكنيسةُ الشُّكرَ لله وذلكَ لأنَّ اللهَ قَدْ أوفى وتَمَّمَ ما وَعَدَ بِهِ الإنسانَ بأنَّهُ أرْسَلَ ابنه يسوع المسيح فِدَاءً لِشَعْبِهِ. (مز١١٠: ٩) كما سَبَقَ وأَعْلَنَ للأنبياءِ. ولأنَّ اللهَ رحومٌ ومحبٌّ للبشرِ، قَدْ تَغاضى عَنْ أزْمِنَةِ الجَهْلِ (أع ١٧: ٣٠). وعَنْ ابتعادِ الإنسانِ ومَعْصِيَتِهِ، فَحَضَرَ إلى الّذينَ أُبْعِدوا عنْ نِعْمَتِهِ، وبِحَسْبِ **القديس كيرللس الإسكندريّ**، فإنَّ الإنسانَ قَدْ هَرَبَ مِنَ الشَّرِكَةِ مَعَ اللهِ **(مجموعة الآباء ٧٥)** فَبَحَثَ اللهُ عَنِ الخروفِ الضَّالِ وَوَجَدَهُ وَجَدَّدَهُ وَأعادَ وِلادَتَهُ وَأَحْياهُ وَ«**حَوَّلَهُ**» وَضَمَّهُ إليهِ وَأَعادَهُ إلى شَرِكَتِهِ الّتي كانَتْ لَهُ مَعَهُ عِنْدَ الخَلْقِ في الْفِرْدوسِ.

هذا **ما فَعَلَهُ اللهُ الآبُ بابْنِهِ الْوحيدِ** بِأَنَّهُ « لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ إلى العالمِ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ». (غلا ٤: ٤-٥). فَبِهذا «سُرَّ الآبُ وَارْتَضى بِأَنَّ الْكَلِمَةَ صَارَ جَسَدًا» (يو١: ١٤)

وَبِحَسْبِ **القديسِ كيرللس الإسكندريّ**: ففي الْبِدْءِ عندَما كانَ الله الكلمة في حِضْنِ الآبِ، احْتَمَلَ لأجْلِنا وَأَخْلى ذاتَهُ طَوْعًا وصارَ جَسَدًا أَيْ إنسانًا ما خَلَا الخطيئة، وَوَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنا صائِرًا ابنَ إنسانٍ لِكَيْ نَغْتَنِي نَحْنُ باللهِ الآبِ، وَمِنَ الرُّوحِ القُدُسِ، **وَمِنَ الْعذراءِ مريمَ** قَدْ أخذَ جسدًا وهذا الجسدُ ليسَ أَنَّهُ بِدونِ نفسٍ أوْ عقلٍ بل بنفسٍ وبعقلٍ وذلكَ لِكَيْ يَجْعَلَ الإنسانَ شَرِيكَ الطَّبِيعَةِ الإلهيَّةِ (٢بطرس١: ٤) وفي جَسَدِ تَأَنُّسِهِ الّذي أَخَذَهُ قَدْسُ **الطَّبيعةِ البشريَّةِ كلِّها بحياةِ الرَّبِّ بِصَليبِهِ وَقيامَتِهِ وصعودِهِ،** وَأَصْعَدَ الطَّبيعَةَ الْبشريَّةَ إلى السَّماءِ وَأَجْلَسَها عنْ يمينِ الآبِ، فَيا لَمَحَبَّتِهِ للْبَشَرِ! ويا لَلُطْفِهِ! ويا لَعَطِيَّتِهِ!، **فالمسيحُ الإلهُ** قَدْ جاءَ إلى الأرضِ وَأَصْعَدَ **الإنسانَ** إلى السَّماوات.

إنَّ السِّرَّ السّماويَّ الّذي يفوقُ الطَّبيعةَ وكُلَّ قولٍ قَدْ حَدَثَ في زَمَنِ «**أوكتافيوس**» **أُغُسطُس قَيْصَر** (لوقا٢: ١). وفي بيتِ لحمَ الْيهوديَّةِ في هذهِ الْمَغَارَةِ البسيطةِ، وَقَدْ كانَ مُعاونونَ وشهودٌ لهذا السِّرِّ الذي حَصَلَ، عَناصِرَ الطَّبيعَةِ وقُوّاتِ السّماواتِ وبِحَسْبِ اللّاهوتيِّ **القديس صفرونيوس بطريرك أوروشليم**، هذا القديسِ الْقائِلِ بأنَّ في المسيحِ إلهِنا **أقنومًا واحدًا في طبيعتَيْنِ وفِعْلَيْنِ وإرادَتَيْنِ** «إذْ يقولُ إنَّ عناصرَ الطّبيعةِ وقُوّاتِ السّماواتِ الّتي كانَتْ معاونةً وشاهدَةً على هذا السِّرِّ هُما النَّجْمُ الّذي جَذَبَ ودَلَّ الْمَجوسَ ، وَالسَّماءُ الّتي قادَتِ الرُّعاةَ؛ فَجاؤوا حاملينَ الْهدايا وَساجدينَ. فَالمجوسُ مُلوكُ الْفرسِ قَدْ قادَهُمُ النَّجْمُ، وَالرُّعاةُ السَّاهرون، قَدْ دَعَتْهُمُ الْملائِكَةُ عَبْرَ التَّسبيحِ قائلينَ:«الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لوقا٢: ١٤). فَأَتَوْا إلى الْمَوْضِعِ مُندَهشينَ وَسَجَدوا للطِّفْلِ الْأَزَلِيِّ في الْمغارةِ.

لَقَدْ تَلَقَّتِ الْكنيسةُ بدايةً أسرارَ المسيحِ «**أيْ سِرَّ التَّأَنُّسِ الإلهيِّ**»

مِنْ شُهودٍ بِعُيونِهِم وَآذانِهِم وَهِيَ تُحافِظُ على هذا السِّرِّ على مدى الدُّهورِ. وَعَبْرَ هذا السِّرِّ تُثقِّفُ الْكنيسةُ أَفرادَها وَتُعيدُ تَشكيلَهُم وَتَصْنَعُ السَّلامَ لَهُمْ وَتُحيِيهُم وَتُقَدِّسُهُم. وَهِيَ تكرزُ بِهذا لِلْقريبِ والْبعيدِ وَإِلى أَقطارِ الْمسكونةِ وَهِيَ تُمارِسُ رِسالَتَها السَّلامِيَّةَ للعالمِ أَجْمَع؛ لأَنَّ الله أَعْطَى للكنيسةِ خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، «إِذْ أَنَّ اللهَ صَالحَ الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ بِتَأَنُّسِ ابْنِهِ». (٢كور ٥: ١٨-١٩).

إِنَّ كنيسةَ أورشليمَ أوّلُ كنيسةٍ في المسيحِ تكرزُ بهذا السِّرِّ الْخلاصيِّ الْفائقِ الطّبيعةَ وَمِنْ هذا المكانِ حيثُ ظَهَرَ هذا السِّرُّ الْخلاصيُّ مِنْ هذَهِ المغارةِ القابلَةَ الإلهِ وَمِنْ هذهِ الكنيسةِ الملكيّةِ الّتي مِنْ عَهْدِ الأباطِرَةِ قسطنطين ويوستينيانوس. تُبارِكُ كنيسةُ أورشليمَ رَعِيَّتَهَا في الأرضِ الْمقدَّسَةِ، متمنين لحُكام ولشعوب المنطقة أن تحيا بسلامٍ ووئامٍ وأمانٍ ونجاحٍ وَتقَدُّمٍ وازدهارٍ وكل بركةٍ من الله. آمين

في مدينةِ بيتَ لحمَ المقدَّسَةِ

عيدُ الميلادِ المجيدِ ٢٠١٩

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

إنَّهُ داءُ الفضة لَخَطِرٌ وهدَّام جِدًا. لذلك يَستحيل على الانسان المُكَبَّل بِحُبّ اللَّذة ان يعيش بحسب مشيئة الله. لأنَّ هذا المرض عندما يَجد النفس فاترة وخالية من الايمان، يُقدِّم حججًا مستصوبة، كالشيخوخة الطويلة والامراض الجسدية وما شابه ذلك. وكما انَّ البَحر لا يمتلىء أبدًا مهما صَبَّت فيه الانهار، كذلك شهوة محبّة الفضة لا تَشبع من الأموال.

الراهب المُحِب الفضَّة يشتغل بِكَدّ. أمَّا **العديم القِنية** فانه يتفرّغ للصلاة والمطالعات، **المُحِب الفضَّة** يكنز له كيسًا، امَّا **العديم القِنية** فانه يجمع الفضائل. يقول الكتاب: «مَلْعُونٌ الإِنْسَانُ الَّذِي يَصْنَعُ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ مَسْبُوكًا، رِجْسًا لَدَى الرَّبِّ عَمَلَ يَدَيْ نَحَّاتٍ، وَيَضَعُهُ فِي الْخَفَاءِ.» (تث٢٧:١٥). **مُحبّ الفضَّة** شبيه بهذا لأن الوثني يسجد للصنم المُزَيَّف الذي لا فائدة منه، **ومحبُّ الفضَّة يُكَوِّن** في ذهنه صَنَمًا خياليًا هو الغِنَى. وكما ان البطن يُصبح الهًا لِعُبَّادِهِ، هكذا الذهب يُصبح الهًا لِمُحِبّي المال.

ان الذين يعانون من الهَوَى انما هم الذين لا ايمان ولا رَجَاء لهم. لهذا فَهُم بِصَواب يُدْعَوْنَ وثنيين، كونهم قد فقدوا رجاءهم بالله، ووضعوا آمالهم في الايقونات الملكيّة (**أي على النقود التي تحمل صورة الملك**). لذلك، كما يقول الكتاب، لا يوجد انسان اكثر اثمًا من **مُحبّ الفضَّة**، لانَّ شَغَفَهُ بالمال يجعله يبيع حتى نفسه. فقد مات كثيرون في سبيل الذَّهَب كما **مات يهوذا الاسخريوطي** في سبيل الفضة، وسقط – ليس من مَصَاف الرُسُل وحسب – بل إنه أصبَحَ بذلك **خائنًا للسَيِّد يسوع المسيح** ، **وأنهى حياته بالشَّنق.**

محبة الفضَّة هي بَرَص النفس كما حصَلَ مع حادثة **جِيحْزِي** الذي أُصيبَ بالبَرَص عندما سَعى وراء الفضة (٤ملوك ٥:٢٠-٢٧). وهي أيضًا تنخر العِظام مثل السُّوسة، وتَقضِي على الانسان بالاهتمام والسَّهَر. لكن التَغلُّب عليها سَهلٌ لمن يَشاء، لأنَّها ليست هَوَى طبيعيًا، بل اختياريًا في النفس. لهذا، فَكُل من يؤمِن بالله ويَضَع رجَاءه عليه دونَ انْ يَشُكَّ به على الاطلاق، فانَّه يَطرح عنه بسهولة **محبة الفضَّة** بالكليّة ويُنَجِّي نفسه من خَطَرٍ عظيم.

طوبَى للانسان الذي لا عيب فيه، والذي لم يَسْعَ وراء الذَّهَب حسب الكتاب. إنَّ **يعقوب الرسول** اذ يهدّد **مُحِبّي الفضَّة** يقول لهم: « ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ قَدْ صَدِئَا، وَصَدَأُهُمَا يَكُونُ شَهَادَةً عَلَيْكُمْ، وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ كَنَارٍ!» (يع ٥:٣).

ويقول **النبيّ حبقوق** أيضًا مُقَرِّعًا **مُحبّي الفضَّة**: «وَيْلٌ لِلْمُكَثِّرِ مَا لَيْسَ لَهُ!» (حبقوق ٢:٦). حقًا إنْ مَن يجمع الاموال لا يطول عُمره وتُصبح الاموال غير منوطة به. وعلى قول الرسول يعقوب والنبيّ حبقوق يوافق **النبي داود** اذ يقول: «هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ، بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ (**بمُقتنياته**).» (مز ٥١:٧).

لِنَهرُب يا اخوة من هذا الهوى الخَطِر، الخالي من الشفقة والمُبغِض الانسان، والعَديم الرَّجاء والمُسَبِّب الشُّرور، ولنسمع قول الرسول: «مَحَبَّةُ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ» (١ تيمو ٦:١٠). ولْنَتَّبِع عَدَم القِنية خاضِعين للمخَلِّص الذي يقول: «لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ» (متى ١٠:٩). لأنَّ **عدم القِنية** شيءٌ مُريحٌ وخفيفٌ يُصعِد مُحِبيه الى السماء.

لهذا فَلْنُلْقِ على الله اهتمام حاجاتنا الجسديّة، لأنّنا بذلك نُعَبِّر عن وضع اهتمام حاجاتنا الرُّوحية عليه أيضًا. لأنه يعتني بِنَا ويعرف الاشياء التي نحتاجها قبل ان نطلبها منه.

فالله كونه بسيطًا يُسَرّ بالبساطة وبالذين يعيشونها، ويدفق عليهم غِنَى خيراته كما جاءَ في **سفر الأمثال**: «مَنْ يَسْلُكُ بِالبَسَاطَة يَسْلُكُ بالثِّقَة.» (ام ١٠:٩). «اموال العالم كلّه للمؤمن، امَّا غير المؤمن فلا يملك بارة.» (ام ١٧:٦)، «النَّفس المُباركة بسيطة كلّها.» (ام ١١:٢٥)، «من يزرع بالعدل ينال أجرة ثمينة.» (ام ١١:٢١). «الربّ لا يميت بالجوع نفسًا بارَّة.» (ام ١٠:٣). «مَنْ اتكل على غناه يسقط.» (ام ١١:٢٨).

ويقول واضع المزامير: «هُوَذَا عَيْنُ الرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ، لِيُنَجِّيَ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، وَلِيَسْتَحْيِيَهُمْ فِي الْجُوعِ.» (مز ٣٢:١٨) ، «الاغنياء افتقروا وجاعوا امَّا الذين يبتغون الرَّب فلا ينقصهم ايّ خير.» (مز ٣٣:١١) ، وأيضًا: « لم أُشاهد صِدِّيقًا متروكًا ولا ذرية له تلتمس خُبزًا.» (مز ٣٦:٢٥) .

وبالاضافة الى كُلّ ما تَقدَّم فانَّ **السَيِّد المُحِب البَشر** ينصحنا ويقول: «أُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟» (متى ٦:٢٦)، ويُضيف: «فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا.لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.» (متى ٦:٣١-٣٣).

يقول **القديس لوقا البشير**: إنَّ **مريم** كانت مخطوبة ليوسف، لكي يُبيِّن أنَّ الحَمْل (الحَبَل) حدَثَ وهي **مخطوبة** فقط. «لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى.» (لوقا ٢:٥)، وأنَّ **ولادة عمَّانوئيل كانت مُعجِزَةً**، ولم تَكُن بحسب قوانين الطبيعة. لأنَّ **العذراء القديسة** لَمْ تَحمِل من زَرْعِ إنسان. والسؤال هو: **لماذا حدث هذا ؟**.

المسيح، الذي هو باكورة الجميع، وهو **آدم الثاني** حسب الكُتب، قَد وُلِدَ من الرُّوح، لِكَي ينقُل هذه النعمة (نعمة الولادة الروحيَّة) إلينا نحنُ أيضًا. فَنحنُ أيضًا قَد أُعِدَّ لنا ألَّا نحمل في ما بَعد اسماء ابناء البَشر، بل بالأحرى نولَد مِنَ **الله**، وذلك بحصولنا على الميلاد الجديد من الرُّوح الذي تمَّ **في المسيح** نفسه أولًا، لكي يكون هو: **متقدمًا بين الجميع**، «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ.فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.» (كولوسي ١:١٥-١٨) كما يُعلن **بولس الحكيم جدًا**. إنَّ فُرصَة الإحصاء كانت سببًا مُناسبًا جدًا لكي تذهب **العذراء** إلى **بيت لحم** لكي نَرَى نُبُوَّةً أُخرى تتحَقّق. لأنّه مكتوب: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ.» (ميخا ٥:٢) ، ولكن أولئك الذين يجادلون ويقولون، إنْ كان هو قد جاء في الجسد فتكون العذراء **قد فسدت (ذِيفثارتي)** (διέφθαρται)، وإنْ لَمْ تَكُن **قد فسدت** فإنّه يكون قد جاء **بطريقة خياليّة فقط. (كاتا فانتازيَّان)** (κατά φαντασίαν). هؤلاء نقول لهم

إنَّ النبيّ حزقيال يُعلن: «هذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا، لاَ يُفْتَحُ وَلاَ يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا.» (حزقيال ٤٤:٢). وأيضًا إنْ كان الكلمة قد صار جسدًا بدون تزاوج جَسَدِي، إذ أنَّه حُمِلَ بِهِ بدون زرع بَشَر، فإنَّه إذن وُلِدَ دون أن تُمَسّ عُذْرَتَها.

«وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ.» (لو ٢:٦-٧).

ما معنى بِكْرِها؟ إنَّ معنى **البِكْر (بروتوتوكوس)** (πρωτότοκος) هنا ليس أنَّه الأوَّل بين إخوة عديدين، بل هو **ابنها الأوّل والوحيد**، فإنَّ هذا المعنى هو من بين المعاني التي تُفَسَّر بها كلمة «**البِكْر**». لأنَّ الكتاب المقدَّس أحيانًا يُسَمِّي الوحيد بالأوَّل كما هو مكتوب: «أَنَا اللهُ. أَنَا الأَوَّلُ وَلَيسَ هُنَاكَ آخَرُ مَعِي.» (إشعياء ٤٤:٦ سبعينيّة).

فلِكَي يَتَّضِح أنَّ **العذراء** لم تَلِد **مجرَّد إنسان (بِسيلوس أنثروبوس)** (ψηλός άνθρωπος) ، لذلك أُضيفت كلمة «**البِكْر**» ، وحيثُ إنَّها **ظَلَّت عذراء** فلَم يَكُن لَها ابنٌ آخر **إلَّا ذلك هو من الله الآب**، والذي بخصوصه أعلن الله الآب أيضًا بصوت **داود**: «أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. » (مزمور ٨٩:٢٧).

ويقول عنه **بولُس الكليّ الحكمة** أيضًا : «وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:«وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ.» (عب ١:٦). فكيفَ إذًا دَخَل الى العالم؟ لأنَّه مُنفَصِل عن العَالم، ليسَ من جهة المكان بقَدر ما هو من جهة الطبيعة. فإنَّه يختلف عن سُكَّان العالم في الطبيعة ، ولكن دَخَلَ إلى العالم بأنْ صارَ إنسانًا، وبذلك صارَ جزءًا من العالم بالتَّجَسُّد. ورغم أنَّهُ هو الابن الوحيد من جهة أُلوهِيَّتِهِ (**ثِيكُوس**) (Θεϊκῶς) ، إلَّا أنَّه لكونه صارَ أَخًا لنا، فقد أصبَحَ له اسم «**البِكْر**»، وَلِكي يصير

هو الباكورة لِتَبَنِّي البشريَّة، فإنَّه يمكن أن يجعلنا أيضًا أبناء الله.

لذلك لاحِظُوا، أنَّهُ يُدعَى **البِكر من جهة التدبير** (**بيري تيس إيكونوميَّاس**) (περὶ τῆς οἰκονομίας). لأنَّه من جهة أُلوهِيَّتِهِ هو الابن الوحيد. وأيضًا فإنَّه الابن الوحيد من جهة كونه كلمة الآب الذي ليس له أُخوة بالطبيعة، ولا يوجَد أيّ كائن مشترك معه. لأنَّ ابن الله المساوي للآب، هو واحد ووحيد. (**إيس چاركي مونوس أو أوموسيوس تو پاتري إيوس توو ثيوو**) (εἷς γὰρ καὶ μόνος ὁ ὁμούσιος τῶ πατρὶ Υἱός τοῦ Θεοῦ)، ولكنه يَصير بِكرًا بتنازلِهِ إلى مستوى المخلوقات.

لذلك حينما يُدعَى الابن الوحيد، فإنَّهُ يُدعَى هكذا دون أن يكون هناك سبب آخر لكونه الابن الوحيد، إذ هو الإله الوحيد الجنس الذي في حِضن الآب (يو١:١٨). ولكن حينما تدعُوه الكُتب الإلهيَّة «**البِكْر**» فإنها تضيف حالًا علّة السبب الذي من أجله حَمَلَ هذا اللقب فتقول الكُتب: «البِكْر بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ.» (رو٨:٢٩)، وأيضًا: «البِكْر مِنَ الأَمْوَاتِ» (كولوسي ١:١٨)، ففي المرّة الأولى دُعِيَ : «بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ.» لِأَنَّهُ صارَ مثلنا في كُل شيء ما عدا الخطيئة. وفي المرّة الثانية دُعِيَ: « البِكْر مِنَ الأَمْوَاتِ» لأنَّهُ هو الأوّل الذي أقامَ جسده إلى حالة عدم الفساد.

وأيضًا هو كان دائمًا منذ الأزل الابن الوحيد بالطبيعة (**كاتا فيسين**) (κατὰ φύσιν) ، لكونه الوحيد المولود من الآب، إله من إله، وحيد من وحيد، إله أشرَقَ من إله، نور من نور، ولكنه هو «**البِكْر**» لأجلنا نحن حتى عندما يُدعَى بِكرًا للمخلوقات فإنَّ كُل من يشابهه يخلص بواسطته. فإن كان هو بالضرورة يصير «**البِكْر**» فبالتأكيد لابدّ أن يكون هناك أولئك الذين يكون هو بكرًا لهم.

ولكن إن كان – كما يقول **يونوميوس** (Eunomios) إنّه يُدعَى بكر الله المولود الأول بالنسبة لكثيرين، وإنَّه هو أيضًا بكر العذراء، ففي هذه الحالة إذًا يلزم أن يصير هو الأول قبل طفل بعده بالنسبة لها. ولكن إن كان يُدعَى بكر مريم باعتباره ابنها الوحيد، وليس هناك من يأتون بعده، إذًا فهو أيضًا بكر الله لا كالأول بين كثيرين، بل هو المولود الواحد الوحيد.

وبالإضافة إلى ذلك إن كان الأول يعترف به أنه علّة الثاني، فإن الله هو الأول ، وحينئذ فالابن هو علّة أولئك الذين نالوا لقب الأبناء، لأنّهم بواسطته قد حصلوا على هذه التسمية، لذلك وهو علّة وجود الأبناء الذين أتوا بعده، فإنَّه يُدعى البكر بحَق. لا لأنَّه هو أولهم، بل لكونه العلّة الأولى لحصولهم على لقب التبنّي. وكما أنَّ الآب يُدعَى الأول لأنه يقول: «أَنَا الأَوَّل وَأَنَا بَعْد هذِهِ الأَشْيَاء» (إش ٤١:٤)، وهو بالتأكيد لا يريدنا أن نعتبره أنه مُشابه في الطبيعة لأولئك الذين يأتون بعده، هكذا أيضًا فرَغم أن الابن يُدعَى بكر الخليقة، أو البِكر قبل كُل الخليقة، فهذا ليس معناه أنه واحد من الأشياء المخلوقة، بل كما أنَّ الآب قال: «أنا الأوّل» لكي يوضح أنَّه أصل كُل الأشياء فبنفس المعنى يُدعَى الابن أيضًا بكر الخليقة. فإنَّ كُل الأشياء خُلِقَت بِهِ. «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.» (يو ١:٣). فكخالق وصانع للعالم ، هو بداية كُل الأشياء المخلوقة وأصلها.

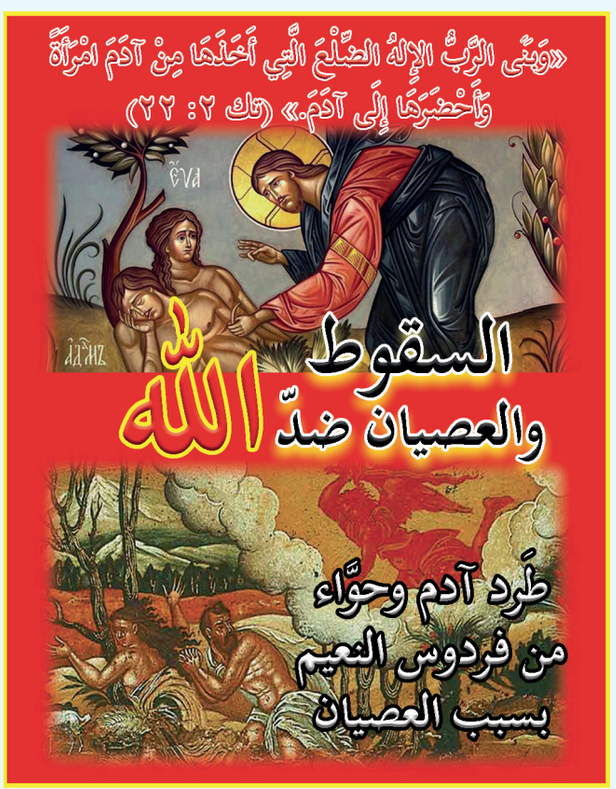

السُّقوط كان نتيجة عدم الخبرة ولامُبالاة الإنسان المخلوق من الله.

هذه جعلته **يهمل اتحّاده الشَّخْصِي وشركته مع الله الآب**. وعمليًا عدم الخبرة واللامبالاة جعلته يخون هذا الاتحاد مُقتنعًا بأنَّ بمقدوره أن يَزْهُو بنفسه. لهذا يُنظَر **إلى السقوط** ويُسمّى على أنّه **انفصال وانسحاب كل المخلوقات** عن علّة الخليقة الأول، أي الله. الكون، بحسب الإعلان **الإلهي**، **هو نتيجة** وبالتالي **لا وجود له من ذاته**، بل هو موجود لأنه يُسهِم في القُوَّة والتدبير **الإلهِيَّين**. وعليه، إذا **انقطع ما هو مخلوق عن قوة الله الجامِعة فهو يتلَف ويموت**.

إنَّ تخلّي الكائنات عن الله أنتج كارثتين متساويتين بالقُوة.

الأولى: **هي الوقاحة ضد الله والارتداد عنه**.

الثانية: هي **الانفصال** عن مصدر الحياة الأبدية الذي هو السبب الوحيد للوجود والتماسك. الإساءة نفسها سببت كارثة في الطبيعتين **البشرية والملائكية**. لقد فقد الملائكة ليس مَعناهم وحسب، بل تغيّروا من الكائنات **الأجمل إلى وحوش مُرعِبة وصاروا مثيرين للرعب والارهاب، من دون أيّ نيّة في التوبة أو العودة**.

ومع أنَّ الإنسان، الذي وقع **ضحية الخُبث الشيطاني، فَقَدَ حالة شِبه الإله ونُفي إلى الأرض، إلى وادي الدموع**، إلَّا إنّه لم يفقد ميزة التوبة **التي قد تحثّه على العودة**.

لمَّا حان ملءُ الزمان

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

فصلٌ من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٤: ٤-٧)

يا إخوةُ لمَّا حان ملءُ الزَّمان أرسَل الله ابنهُ مولودًا من امرأةٍ مولودًا تحت النَّاموس ✻ ليفتدي الذين تحت النَّاموس لننال التبنِّي ✻ وبما أنَّكم أبناءٌ أرسَل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا ابَا الآبُ ✻ فلستَ بعدُ عبدًا بل أنتَ ابنٌ. وإذا كنت ابنًا فأَنتَ وارثٌ لله بيسوع المسيح.

«وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِرًا لاَ يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ. هكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ، كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ [1].» (غلا ٤: ١-٣).

كلمة «**قاصِر**» (او طفل Nipion) (Νήπιο) (**نيبيُو** باليونانية – وتعني طفلًا ما بين ١ – ٥ سنوات) إنَّما يقولها الرَّسول لا بحسب السنّ بل بحسب العقل والفهم أي الحكمة (Φρόνημα) (Fronima)، وذلك ليُبيِّن أنَّ الله قد أراد منذ البدء منحَ هباتٍ كهذه. لكن، إذ كُنَّا بعدُ في مثل هذه الحالة القاصرة (الطفوليّة)، سَمَحَ الله بأن نكون خاضعين بعدُ لأركان العالم، أي لناموس الشهور والأيام والسبوت، لاسيّما وأنَّ هذه الأيام تتوالى نسبةً الى تحرّك الشمس والقمر.

أمَّا الآن، فإن بقيتم تحت سلطة ناموسكم فلَسوفَ يعود بِكُم إلى الوراء، في حين أنَّكم قد بلغتم سنَّ الرُّشد. أرأيت كم أنّ حفظ **ناموس الأيام** رديء؟ هذا ما جعَلَ **السيِّد الضابط الكُل** يتنازل الى مرتبة العبد.

ولكن لمَّا حان ملءُ الزَّمان [2] أرسَل الله ابنهُ مولودًا من امرأةٍ مولودًا تحت النَّاموس ✻ ليفتدي الذين تحت النَّاموس لننال التبنِّي.[3] (غلا ٤: ٤-٥)

ثمّة سببان وإنجازان للتَّجسُّد، ألا وهُما: التحرّر من الشرور ومنح الخيرات. والحال ألَّا يُمكن لأحدٍ إنجاز أمورٍ كهذه سوى الرَّبّ، فما هي إذًا هذه الإنجازات ؟

أن نتحرّر من **لعنة الناموس** (غلا ٣: ١٠)، وأن نسير مُرشَدين الى البُنوّة.

«**ليفتدي الذين تحت الناموس**» أي الذين كانوا خاضعين للناموس. و «لننال التبنّي» أي لنُصبِح وارثين.

يقول: «لنَنال» مُبَيِّنًا أنَّ هذه العطيّة كانت منتظرةً وموعودًا بها. فلقد وعَدَ الله من قَبل وَكَشَفَ عن هذه الوعود من خلال أحداثٍ وعلاماتٍ كثيرة، كما حدثَ **لإبراهيم** مثلًا (غلا ٣: ١٦).

وكيف نتبيَّن أننا أصبحنا أبناء؟ ذلك أننا **قد لبسنا المسيحَ الذي هو الابن**، وهذا ما قد سَبَقَ فقاله (راجع غلا ٣: ٢٦).

وبما أنَّكم أبناءٌ أرسَل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا ابَا الآبُ ✻ فلستَ بعدُ عبدًا بل أنتَ ابنٌ. وإذا كنت ابنًا فأَنتَ وارثٌ لله بيسوع المسيح. (غلا ٤: ٦-٧).

يقول هنا مُبَيِّنًا أننا قد أصبحنا أبناءَ كوننا قد أخذنا روحَ البنوّة. ذلك أنَّا لا نستطيع أن ندعو الله أبانا ما لم نَكُن قد صِرنا من قَبل أبناءَ.

وإن كانت نعمة الروح القُدس قد جعلتنا **أحرارًا** بعد أن كُنَّا **عبيدًا**، وكاملين بعد أن كُنّا قاصرين أطفالًا، ووارثين وأبناءَ بعد أن كُنَّا أعداءً، فكَم نكون من ثمّ جُهلاء وجاحدين للنعمة إن تخلَّينا عن نعمةٍ كهذه ورجعنا الى الوراء.

---

١) أركان العالم: قد يكون المقصود بأركان العالم تلك العادات المختلفة التي كانت تحتلّ مكانةً كبيرةً في النّاموس الموسويّ.

٢) ملء الزمان: أي الوقت المحدّد لتدبير الله في الجسد بعد أن امتلأت الطّبيعة البشريّة من كُلّ شرّ وباتت بحاجة ماسّة إلى تطبيب.

٣) التبنّي: راجع (رو٥: ٥ و ١٥: ٨) و (٢كو ١: ٢١-٢٢).

أَيَّتُها البتول، إنَّكِ تشفين أمراض نفوسنا واوجاع اجسادنا فلذلك نُمجِّدك ايتها الممتلئة نعمة.

والدة الإله الكليّة القداسة تشفي سيّدة تعاني من العَقر بواسطة الطيب (الميرون) المُقدَّس الذي ينبع من أيقونتها العجائبيَّة في دير ماليفي العامر للرُّوم الأرثوذكس في اليونان.

إنَّ السيّدة **سولتانا لامبيتا، نيكوبوليوس ٢٩ من بريڤيسا في اليونان** تشرح العجيبة التي حصلت معها قائلة:

إنِّي متزوّجة منذ خمسة عشرَ عامًا ولم أستطع فيها الإنجاب بتاتًا، هكذا لم أحظَ بأن أضمَّ إلى صَدري ولو طفلًا واحدًا.

كلّ هذا رغم الجهود المتواصلة والمحاولات المتكرّرة من جانب العِلْمِ والأطباء، الذين أَكَّدوا لي أنَّه من المستحيل أن أحبَل وأن يكون لي أطفال.

تقول رئيسة دير رقاد العذراء ماليفي للرّوم الأرثوذكس:

قَدِمَت هذه السيّدة إلى ديرنا العامر، وهي مليئة بالإيمان، حيثُ قدّمت الصلوات والتضرعات بلجاجة بمعونة الميرون المقدَّس الذي يفيض من أيقونة العذراء مريم، كانت تُصَلِّي والدموع تذرف من مُقلَتَيْها طالبة بحرارة من والدة الإله أن تتشَفَّع فيها وأن تَمُنَّ عليها وأن تُعطيها طِفلًا.

رشمت السيَّدة نفسها بالميرون المقدَّس بشكل علامة الصَّليب مرارًا كثيرة، وعندما عادت الى بيتها وبعد مدّة وجيزة حَبِلَت .

لقد سَمِعَت العذراء طِلبتها وأغدَقت عليها بحنُوِّها غير الموصوف فإنها شفيعة المسيحين غير الخائبة، إنَّ هذه العجيبة الفريدة تحقَّقت بفعل العذراء الكليَّة القداسة، وهكذا أنجبت طفلتين.

شكرت **السيّدة سولتنا لامبيتا** العذراء مريم من كل قلبها وبحرارة مُتَّقدة، هذه العجيبة التي حصلت لها من الميرون المقدَّس، والتي أنارت بيتها بطفلتين تقدمة وبَرَكَة **من العذراء والدة الإله الشفيعة الحارَّة، والوسيطة عند الخالق غير المردودة.**

من أقوال القديس مكسيموس المعترف

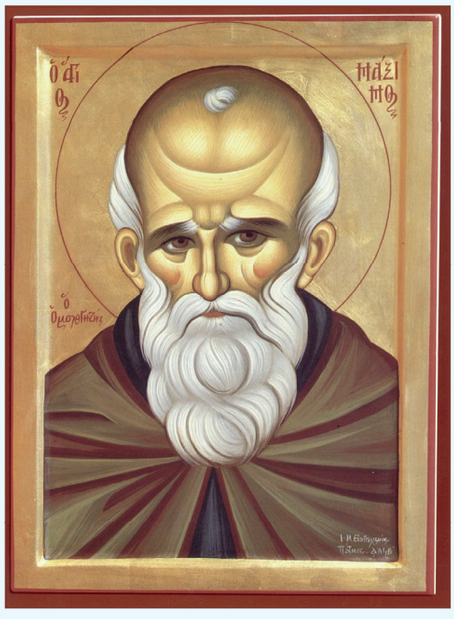

إنَّ ما يحبّه الانسان يُلازمه، ويمقت كُلّ الاشياء التي تمنعه عنه حتى لا يخسره، ومَن يُحبّ الله يجعل اهتمامه بالصَّلاة النقيَّة ويَطرَح عنه كُل هوًى يمنعه من ذلك.

مَن يحبّ الله بالحقيقة، لا شَكّ إنه يُصَلِّي بدون تشتُّت. ومَن يُصَلِّي بدون تشتُّت يحب الله بالحقيقة. إنَّ من يُعلِّق ذهنه بأحد الأشياء الارضيَّة لا يقدر أن يُصَلِّي بدون تشتُّت.

إنَّ الذهن الذي يلتصق بشيء حِسِّي مدّة طويلة، لا شَكّ أنَّ فيه هوًى نحوه: **إمَّا شهوة، وإمَّا حُزن، وإمَّا غَضَب، وإمَّا حِقد.** فإذا لم يمقت هذا الشيء لا يقدر أن يتحرّر من هواه.

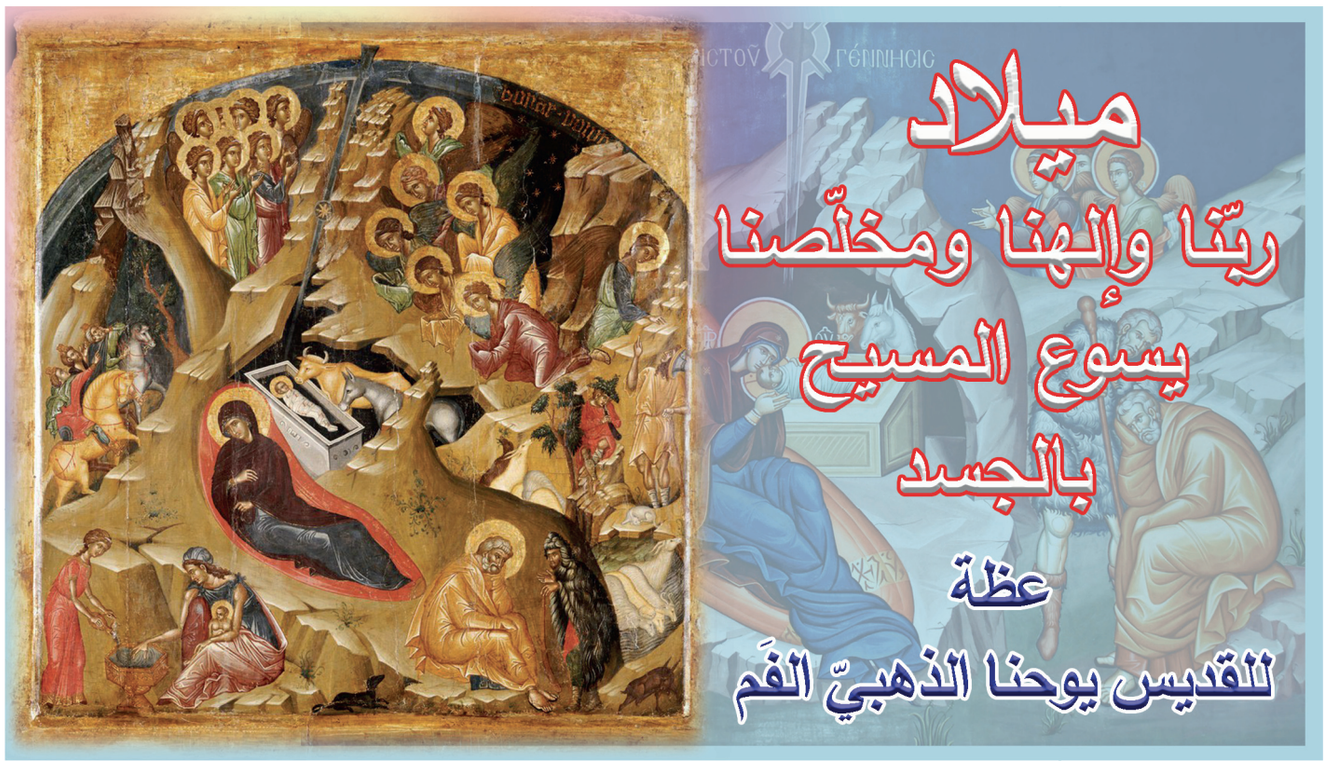

إنّني أُشاهد سرًّا عجيبًا مُستغربًا. الرعاة يُصَعِّدُون بأعلى اصواتهم انغامًا سماوية. **الملائكة، رؤساء الملائكة، الشّاروبيم والسّارفيم** يسبّحون (لوقا ٢) الكلّ يُعَيِّد مُشاهِدًا إلهًا على الأرض، وإنسانًا في السَّموات. **ما هو فوق ينحدر بحسب التدبير، وما هو تحت يرتفع بمحبته للبَشر**. اليوم تتشبَّه بيت لحم بالسَّماء، تتقبَّل بدل الكواكب ملائكة يُسبِّحُون، وبدل الشّمس شمسَ العدل تستضيفها بطريقة لا توصف. **لا تسأل عن كيف لأنه حيثُ يشاء الله يُغلَب ناموس الطّبيعة**. لقد شاءَ واستطاع، **انحدر وخلّصَ وأرفَقَ** بكلّ شيء الى الله – (أرفَقَ أي أعانه، جمعه وأعاده الى الله) –. اليوم يولَد الكائن الذي يصير الى ما لم يَكُن، لأنّه وهو الله قد صار إنسانًا من دون أن يتحوَّل عن ألوهِيّته (صارَ إنسانًا دون أن يخرج من كونه إلهًا). كما أنّه لم يخرج عن كونه إنسانًا ليصير إلهًا. هو الكلمة الذي صارَ جسدًا من أجل تطهيرنا ولم يزَل مُحافظًا على طبيعته الإلهيّة.

لكن عندما وُلِدَ، أنكَرَ اليهود الولادة الغريبة، حرّر الفرّيسيون الكتب الإلهيّة، وتكلَّم الكتبة بخلاف النّاموس. كان **هيرودس** يطلب المولود **لا ليكرّمه بل ليهلكه**. اليوم أشاهد كُلّ شيء مخالفًا لأنه حسب المزمور: «لاَ نُخْفِي عَنْ بَنِيهِمْ إِلَى الْجِيلِ الآخِرِ» (مز ٧٧:٤). الملوك مُعجَبون بأمر الملك السَّماوي: كيف أنَّه أتَى لا تواكبه الملائكة، ولا رؤساء الملائكة، ولا العروش، ولا السيّادات ولا القوّات ولا السلاطين، بل وطِيء طريقًا غريبة غيرَ مسلوكة، خرَجَ من بطن بلا زرع، من دون أن يتخلّى عن العناية بملائكته، وتجسَّدَ من أجلنا من دون أن يُفارق ألوهِيَّتَهُ.

أتَى الملوك ليسجدوا لملك المجد، الجنود ليخدموا رئيس القوّات، النّساء لِيَرِيْنَ الذي وُلِدَ من امرأة لكي يحوّل أحزان المرأة إلى فَرح، العذارى ليشاهدن **ابن العذراء**: كيف أنَّ الخالق المُغَذِّي الينابيع والمُسَيِّر الانهار الجارية تلقائيًا، يُحمَل على ساعِدَي **أمّ عذراء** ويتناول غذاءَ طفل؛ الاطفال ليروا الصائر طفلًا «مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ نَظَمْتُ لَكَ تَسْبِيحًا» (مز ٨:٣). الاولاد ليروا الولدَ الشاهد لحيلة هيرودس، الرِّجال أمام الذي صار إنسانًا ليشفي أمراض البشر، **الرعاة أمام الرَّاعي الصَّالح الذي يبذل نفسه من أجل الخراف**، الكهنة أمام الذي صار رئيس كهنة على رتبة ملكيصادق، العبيد أمام الذي أخذ صورة عبد لكي يُعتقنا من العبوديَّة، الصيَّادون أمام الذي صيَّر التلاميذ صيّادي البَشر، العشَّارون أمام الذي حوَّل العشَّار إلى مُبَشِّر بالإنجيل، الزُّناة أمام الذي تقبَّل مَسح قدميهِ بدموعِ الزَّانية. ولكي أقول باختصار جاءَ الخطأة كلّهم ليشاهدوا حمل الله الرافع خطايا العالم: المجوس يقدّمون الهدايا، الرّعاة يمجّدون، العشَّارون يُبشِّرون، الزُّناة يحملن الطّيوب، السامريّة تُسارع الى ينبوع الحياة والكنعانيّة تتقبّل إيمانًا لا رَيبَ فيه.

أوَدّ أن أرقص إذ أرَى الكلّ يرقصون، أَوَدّ أن أُغَنِّي معهم، أن أحتفل مع الجميع. أُغَنِّي لا ضاربًا على القيثار ولا مُحرِّكًا الكنّارة، لأنَّني عوض الآلات الموسيقيّة أحملُ أقمطة المسيح. هذه تُشَكِّل رجائي، هذه هي حياتي، هي خلاصي، هي محفلي الغنائي، هي قيثارتي. لذلك آتي حاملًا إيَّاها لكي بقوّتها أستطيع أن أُرتّل مع الملائكة: «المجدُ لله في العُلى وعلى الأرض السّلام وفي النّاس المسرّة» (لوقا ٢:١٤).

اليوم المولود من الآب بصورة لا يُنطَق بها يولَد من عذراء لأجلي بصورة لا توصَف.

وُلِدَ قَبْلًا من الآب قبل الدهور بالطّبيعة كما علم الوالد. اليوم يولَد أيضًا بخلاف الطبيعة كما ظلّلت نعمة الرُّوح القُدُس. الولادة التي من فوق حقيقيّة، والولادة الحاضرة غير كاذبة. وُلِدَ إلهًا حقًّا من إله حقّ واليوم يولَد إنسانًا حقًّا من **عذراء حقة**. فوق كان وحيدًا من إله واحد وهنا يأتي وحيدًا من **عذراء وحيدة**. لأنَّهُ لا وجود لِأُمٍّ في ولادته العلويّة

كما من التجديف اعتبار وجود أب في ولادته الحاضرة. **الآب** وَلَدَ بدون سَيَلَان، **والعذراء** وَلَدَت بدون فساد. الله الآب لم يعرف سَيَلَانًا عند ولادته لأنّه وَلَدَ كما يليق بالله، **والعذراء** لم تعرف فسادًا لأنّها وَلَدَت بقوّة الرُّوح القُدُس. لذلك لا الولادة العلويّة تعرف تفسيرًا ولا بروزه في آخر الأزمنة يحمل شرحًا مُفَصَّلا. نعم أنا أعلم **أنَّ العذراء** وَلَدَت اليوم كما أُومن أنَّ الله وَلَدَ قبل الزمن. لقد تعلّمتُ أَنْ أصمت عن طريقة الولادة احترامًا ولا أسترسل في التّفسير.

فيما لأعمال الله لا نهتمّ بطبيعة الأحداث بل نُؤمن بقدرة فَاعِلِهَا. من ناموس الطبيعة أن تَلِد المرأة بعد الزّواج، لكنَّ **الأمر يفوق الطّبيعة عندما تَلِد عذراء لا تعرف زواجًا وتبقَى بعد الولادة عذراء**. أنا أشهد ما هو طبيعيًّا وأُوَقِّر صامتًا ما يفوق الطبيعة لا في سبيل التهرّب منه، بل كونه يستحقّ الصّمت وعدم النّطق به. كنت أودّ ألّا أقول شيئًا لأنّي لا أعرف كيف أُحَرّك عجلة الكلام لمزيد من الإيضاح. بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ أرى الولادة وأُعاين المولود ولا أفهم شيئًا عن طريقة الولادة. يُغلَب نظام الطبيعة حيثُ يشاء الله، لأنَّ الحَدَث لم يَكُن بحسب الطبيعة بل كان العجب فائقًا للطبيعة. إسْتُخْدِمَت الطبيعة لِفِعل السيّد الفائق الطبيعة. يا لها من نعمة لا توصَف! إنَّ المولود الوحيد قبل الدهور، غير الملموس، البسيط، غير المتجسّم يتّخذ جسدي الفاسد المنظور. **حتى يُعلِّم الذين يُشاهدونه ويقودهم بتعليمه الى ما لا يُشاهَد.**

الناس يثقون بِنَظَرِهِم أكثر من سَمَعهم، ويشكّون بما لا يُشاهدونه. لذلك شاءَ عن طريق الجسد أن يكون منظورًا بِالْعَيْنِ لكي يحلّ عنصر التشكيك. يولَد من **عذراء** تجهل الأمر، لم تُشارك في فعل الحَدَث بل كانت أداة طريّة لِقُدرته التي لا توصَف. لكنَّها استَفهَمَت فقط عند سؤالها لجبرائيل: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» (لوقا ١:٣٤). فأجابها: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ» (لوقا ١:٣٥). كيفَ وُجِدَ الروح القُدُس معها وبعد لحظة غادرها ؟ كمثل فنّان وجَدَ مادّة مناسبة وفي غاية الجَمَالِ والنّقاوة وصَنع منها آنية له، هكذا حصَل مع **المسيح** الذي وَجَدَ **العذراء قِدِّيسَةً جسدًا ونفسًا** فاتَّخَذَ له منه **هيكلًا متنفّسًا**. هكذا شاءَ أن يجبل الإنسان **في العذراء** ويلبسه بدون خجل من بشاعة الطبيعة. لباسه الجسد هذا لم يجلب عليه أيّ عيب بينما اكتسبت جبلته مجدًا عظيمًا حين أصبحت لباس الفنّان نفسه.

كما في أوّل الجبلة لم يَشَأْ أن يخلق الإنسان إلّا بِلَمْسِ يديه، كذلك لم يكُن ممكنًا أن **يُعيد جِبلة هذه الآنية الفاسدة إلّا بجعلها لباسًا للخالق.** لكن بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ إنَّ العَجَب مُحيّر: القديم الأيام يُصبح صَبيًّا، الجالس على عرش عالٍ يضّجع في مغارةٍ غير الملموس، البسيط غير المركّب ولا المتجسّم يُلَفّ على أيدِي البَشَر، الذي يَفك رباطات الخطيئة يُربَط بالاقمطة لانه هكذا يشاء، يريد أن يحوّل ما هو مُزدَرى به الى كرامة، أن يُلبِس ما لا مجدَ له سربالَ المجد، وأن يُظهِر ما هو جدير بالإهانة سبيلًا للفضيلة. هكذا اتَّخَذَ جسدي لكي أحوي كلامه وأَتَقَبَّل روحه حتَّى إنَّه عن طريق هذا الأخذ والعطاء أحصُلُ على كنز الحياة.

يأخذ جسدي ليُقَدّسني ويُعطي روحه ليُخلّصني.

لكن بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ ها **هي العذراء تحبل في بطنها**. لا يُنطَق بما صار، بل يُعجَب بما حَصَل. وقَعَ الحَدَث عند اليهود وهم الذين تكلّموا عليه (عند الانبياء)، أمّا نحنُ فنؤمن به ... **العذراء تحبل في بطنها**: آية جاءت **حَرفًا** عند مجمع اليهوديّ فأصبحت **مُلكًا** للكنيسة. المجمع وجد المخطوطة والكنيسة استلمت اللؤلؤة. **الأوّل** (**اليهودية**) يصبغ الصّوف، والثانية (**المسيحيّة**) تلبس الأُرجوان لأنّ اليهوديّة ولدته والمسكونة اقتبلته. المجمع غذّاهُ والكنيسة اتّخذته ثمرًا لها. مِن **الأوّل** (**اليهودية**) أغصان الكرمة وللثّانية (**المسيحيّة**) عنقود الحقّ. الأوّل (**اليهودية**) قَطَفَ العنقود والأمم شَرِبَت من نتاج الكَرمَةِ السّريّ. الأوّل زرَعَ في اليهوديّة حبّة القمح، والأمم بمنجل الإيمان حصَدَت السنابل. الأمم التقطت بكل تقوَى الزهرة **واليهود تمسّكوا بشركة عدم الإيمان**. لقد بَرَزَ الصُّوص وبقيَ الجُهّال على موقفهم. فَسَّرَ اليهود **حرف النّاموس** وقطفت الأمم **ثمر الرُّوح** «ها إنَّ العذراء تحبل» (اشعيا ٧:١٤). قُل لي أيُّها اليهوديّ مَن وَلَدَت؟ تشجَّع كما أجبتَ **هيرودس**. لكنك لن تفعل ليتم الكتاب. لقد أجبتَ **هيرودس** لِتُهلِكَ المولود ولَنْ تُحيِيني حتَّى لا أسجد له. من وَلَدت؟ مَن؟ وَلَدت سَيِّد الطبيعة **لأنَّ سيّد الطبيعة جاء بولادة غريبة لكي يُظهر وهو إنسان أنّه لا يأتي كإنسان بل يولد كإله.**

اليوم يولَد إذًا **من العذراء** غالبًا الطبيعة، مُتَخَطِّيًا سُنَّة الزّواج. لأنه كان ينبغي أن يأتي عميد القداسة **من أحشاء طاهرة مقدَّسة** هو الذي جَبَلَ آدم في القديم من أرضٍ عذراء وكَوَّنَ المرأة من آدم بدون واسطة نسائيّة. لأنّه كما أنَّ آدم جلبَ المرأة بدون واسطة امرأة، لذلك اليوم **تَلِد العذراء** مُسَدِّدَة الدَّين للرِّجال من أجل حواء. وكي لا يتعَظَّم آدم ببروز المرأة منه بدون واسطة امرأة أُخرى، لذلك ولَدَت (**العذراء** رَجُلًا بدون واسطة رَجُل آخر لكي بتعادل العجيبة تظهر المساواة في الكرامة بين الجنسين). وكما أنّه أخرَجَ ضِلعًا من جنب آدم بدون أن يُنقِص شيئًا منه، هكذا فقد صنَعَ هيكلًا متنفسًا **في العذراء** بدون أن يحلّ شيئًا من عُذريّتها. لقد بَقِيَ آدم سالمًا صحيحًا بعد أن انتُزِعَ الضِّلع منه، **والعذراء** بَقِيَت بدون فَساد بعد ولادة الطفل. لذلك لم يتّخذ لنفسه هيكلًا من موضع آخر، كما ولم يتسربل جسدًا غير الذي جَبلَهُ حتى لا يُنزِل الإهانة بِجِبِلَّةِ آدم التي صنعها بالمجد. وبما أنَّ الإنسان **سقط صائرًا أداةً للشيطان**، لذلك اتّخَذَ الهيكلَ المتنفّس المستعبَد لكي ينتشله من **غواية الشيطان**. لكن **ومع كونه صار إنسانًا إلّا أنّه لم يولَد كإنسان بل وُلِدَ كإله**. لإنّه لو جاء من زواج على مثال البَشَر لاعتُبِر مجيئه كاذبًا لكثير من النّاس. لذلك **العذراء** تَلِد اليوم **حافظة عُذريّتها** لكي يصير لنا العجب في طريقة الحَبَل مَدعاةً لإيمان عظيم .

من هنا إن سأل الوثنيّ أو اليهوديّ إن كان المسيح الإله بالطبيعة قد صار إنسانًا بما يُخالف الطبيعة أقول له: نعم وأدعم جوابي بختم العذريّة غير المنفسدة. لأنّه هكذا يليق بالله الغالب ترتيب الطبيعة. هكذا يليق بالذي كَوَّن الحشا وأوجَدَ العُذريّة وذلك عندما تمَّت الولادة بدون عيب

وَشيَّد لنفسه هيكلًا كما شاء بطريقة لا توصَف. قُل لي أيُّها اليهوديّ أَوَلَدَت العذراء أم لا؟ إن ولَدَت اعترفْ بالولادة الغريبة. وإن لم تَلِد فلماذا خدعتَ هيرودس؟ لأنّك أنتَ الذي ذكّرتَ أين يولَد المسيح وقلتَ في بيت لحم اليهوديّة. «فَقَالُوا لَهُ:فِي بَيْتَ لَحْمَ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنَّ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» (متى ٢:٥-٦). أتَحسَب أَني رأيت البلدة أو المكان أو أنّني كنتُ أستحق معرفة ما حَصَل؟ أليسَ أشعيا مع إلهه الذي قال: «وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (اش ٧:١٤). أَلستُم أنتم الذين أوردتم الحقيقة أنتم الأعداء ناكري النعمة؟ ألستم انتم أيها الكتبة والفرّيسيون الذين علّمتمونا كُلّ ما يختص بالنّاموس، أنتم الحافظون حدودَ الناموس؟ أنعرف نحنُ لغة العبرانيين؟ ألستم أنتم الذين شرحتم الكتاب بعد ولادة العذراء وقبلها، حتّى لا تعترفوا بقصد ما كُتِبَ لنعمة الله ومجده؟ ألستم أنتم الذين أجبتم هيرودسَ عند سؤاله مستندين الى قول **ميخا النبيّ**: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ». (ميخا ٥:٢). حسنًا قال **النبيّ** «مِنْكِ» لأنه خرجَ منكم وأتَى الى المسكونة. يا لَكُم من محاربين جوّادين! من متهّمين صالحين للبشَر! تتجاهلون المولود من بيت لحم وتُظهرون الله. تُعلِمون بوجود السيّد المخفيّ في مذود، وتُشيرون الى المستوي في مغارة ولا تُريدون الاعتراف به. تُريدون أن تُخفوا الامر فتكشفونه. أرأيتم مثل هؤلاء المعلّمين الجهلاء؟ يعلّمون وهم لا يُعلّمون، يُطعمون وهم جائعون، يُروون وهم عطشَى! يُغنون وهُم فُقراء.

هلمّوا نُعَيِّد ونحتفل. سبيل التّعييد غريب لأنّ الكلام على الولادة غيرُ مألوف. اليوم تُحَلّ العقدة المزمنة، **الشّيطان** يُخزَى ويهرب، الموت ينْحَلّ، الفردوس ينفتح، اللّعنة تبيد، الخطيئة تُقتَلَع، الضّلال يضمحل، الحقيقة تعود والكلام على التّقوَى ينتشر سريعًا، لأنَّ الحياة التي من الْعُلَى تُزرَع على الأرض. الملائكة يُخالطون البَشر، والبَشر يتحاورن مع الملائكة بدون خوف؛ لماذا هذا كلّه؟ **لأنَّ الربّ أتَى إلهًا على الأرض وإنسانًا في السماء**. كُلّ شيء امتزج. لقد أتَى على الأرض الكائن كلّه في السَّماوات: كائن كلّه في السّماء، وكائن كلّه على الأرض. **الله الكائن** يصير إنسانًا من دون أن يتوقّف عن كونه **إلهًا**. الكلمة الكائن المجرّد يصير جسدًا حتّى إنَّ الذي لم تسعه السَّماء يحويه المذود. وُضِعَ في مذود حتّى إنَّ الذي يُغَذّي المسكونة، يتناول طعامًا كَطِفلٍ من يَد أُمّ عذراء. أبُ الدهر الآتي يُحمَل كطفل في أحضان والديه من أجل أن يصير مقتربًا من المجوس. اليوم جاءَ المجوس وأنكروا ظُلم الطّاغي. السّماء تفتخر بالإشارة الى السيّد نفسه عن طريق الكوكب، والربّ الجالس على سحابة جسده الخفيفة يُسرِع الى مصرَ هاربًا من ظُلم هيرودس. متمّمًا قول **اشعيا النبيّ**: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ إِسْرَائِيلُ ثُلُثًا لِمِصْرَ وَلأَشُّورَ، بَرَكَةً فِي الأَرْضِ، بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: «مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ، وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ، وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ». (اشعيا ١٩:٢٤-٢٥).

لكن من أجل ضيق الوقت أَوَدّ أن أتوقّف هنا عن الكلام، وأنتهي بقولي كيف أنَّ الكلمة الكائن المجرّد يصير جسدًا بدون استحالة في طبيعته؟ بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ أرى مولودًا ومذودًا، طفلًا وأقمطة. كُلّ شيء مُزدان بالفقر والعَوَز. **أرأيت مثل هذا الغِنى في فقرٍ كثير ؟** كيف وهو الغنيّ افتقر من أجلنا؟ كيف لم يَكُن له لا سرير ولا فراش بل وُضِعَ في مذود بسيط؟ يا لهُ من فقر منبع للغِنى! يا له من غِنَى جزيل متسربل هيئة الفَقْر! يُضجع في مذود ويهزّ المسكونة ويُلَف بالاقمطة ويَفُكّ رباطات الخطيئة! لم يُحرِّك بعد صوتًا وهو يعلّم المجوس ويدفعهم للعودة! بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ هوذا الطفل ملفوف بالاقمطة، موضوع في مذود، حاضرة معه **مريم العذراء الأمّ** وحاضر ايضًا يوسف المدعوّ أبًا. هو يسمى رَجُلًا وهي تُدعَى امرأة. اسماء شكليّة خالية من معنى الزّواج يلحقها المعنى حتّى الحروف ولا يصل الى الفعل. هو خطيبها فحسب، والرُّوح القُدُس يظلّلها. لذلك تحيَّر يوسف كيف يدعو الطفل ولم يُرِد أن يُشهرها بالزّنَى. لم يستطع أن يُوَجِّه **للعذراء** كلمة مهينة ... لا يعرف كيف ومتى وُلِدَ الطفل.

وهو بعدُ متحيّر إذا **بصوت الملاك من السّماء** يقول له: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (مت ١: ٢٠). لأنَّ الرُّوح الإلهي ظَلَّل **العذراء**. لماذا **يولَد مِن عذراء ويحفظ العذريّة سالمة؟** لأنَّ **الشيطان** خدَعَ حوّاء قديمًا لذلك جاءَ جبرائيل وبَشَّرَ مريم العذراء. لكن حوّاء المخدوعة وَلَدت كلمةً طلبت معها الموت. أمَّا مريم المُبَشَّرة فقد وَلَدت الكلمة بالجسد، **الذي جَلَبَ لنا حياة أبديّة**. إنَّ كلمة حوّاء أشارت الى العود الذي به طُرِدَ آدم من الفردوس. **أمَّا الكلمة الذي خرجَ من البتول فقد أظهَرَ الصليب الذي أعادَ اللّص (الممثّل لآدم) الى الفردوس.**

بما أنَّ الوثنيّين واليهود لم يؤمنوا بأنَّ الله وُلِدَ بدون أَلَمٍ وسَيَلَان، لذلك اليوم جاءَ من جسد قابل للألم حافظًا الجسد بدون تألّم (بدون هَوَى بدون خطيئة) لِيُبَيّن أنّه كما وُلِدَ من عذراء من دون أن يحلّ عُذريّتها، كذلك الله وَلَدَ إلهًا بما يليق به حافظًا الجوهر المقدّس بدون استحالة. وبما أنَّ البَشر ابتعدوا عنه وعبدوا الخليقة والأصنام على شبههم إهانةً للخالق، لذلك اليوم كلمة الله الكائن إلهًا يَظهر بهيئة إنسان لكي يضمحلّ الكذب ويعيد لنفسه العبادة الحقيقيّة. هذا وللمسيح الإله ينبغي كُلّ مجد مع الآب والرّوح القُدُس الآن وكُلّ أوان والى دهر الداهرين. آمين.

في ما يلي سوفَ أقول شيئًا من الشَّهادة الشَّخصيّة. أنا ارتبط منذ عقود **بالأب افرام الكاتوناكي**، المعروف بروحيته وضميره. من الأمور التي اشتهر بها أيضًا بأنه صاحب «**تلفزيون روحي**». بالنسبة لي، لطالما ذهبت إليه في مناسبات عديدة بهدف طَرْح أسئلة معينة محدَّدَة جدًا، في تَسَلْسُل معين، وبٱستخدام مُفرداتي الخاصَّة. عند زيارته، ومن دون أن أطرح أيًّا من أسئلتي المقصودة، كان يعطيني رُدوده، بالتَّسَلْسُل الذي كنت أريده مستعملًا مُفرداتي التي أفهمها. أنا أورِد ذلك بمثابة تجربة شخصية، لا كظاهرة غير مسبوقة، إذ إنَّ العديد من الآخرين أيضًا يشهدون لذلك.

في إحدى المرات قبل ثلاثين عامًا تقريبًا، كنت في ذلك الوقت أستاذًا شابًا **في كلية اللاهوت في تسالونيكي**، ذكرتُ له ما يلي: إنَّ **جَوّ الحركة المسكونية يزدهر** في كُلّيات اللاهوت، خصوصًا في **تسالونيكي**، ما سَبَّبَ لي مشاكل مُزعجة وأسئلة، إذْ أرى ذلك عند أساتذة محترمين. وبطبيعة الحال، فإن ردَّة فعل كلٍ من ضميري وعلمي هي ضِدّ هذا الأمر. لكنّي، أرغب **بِرَدّ روحي أبعد** من الدرجة العلمية التي لديّ. وهذا **الرَّد الرُّوحي** لطالما طلبته في كثير من القضايا الأخرى. لهذا، سألته أن يخبرني **عن طبيعة الحركة المسكونية**، كما يراها، فأجاب مباشرة ومن دون أي صعوبة:

« هذا السؤال يا بُنيّ، طرحه شخص آخر من قبل بعض الوقت. أنا من جهتي كنتُ هنا على هذه الصخور لمدة أربعين عامًا ... لقد نسيت حتى لُغَتِي اليونانيَّة (لاحظ أنه قد أكمل المرحلة المتوسطة) وعلى هذا النحو، وأنا لم أنشغل بهذه المسألة ولكن، لأنه كان عليّ الرّد – إذ قد سُئلت عن ذلك، ولم يكن لدي أي علم بالأمر – ذهبتُ إلى قلايتي وصليت طالبًا **من المسيح** أن يُعْلِمْنِي **ما هي المسكونية**. تلقَّيْتُ ردّه، وهو **أنَّ الحركة المسكونية فيها روح شَرّ وَتُهَيّمِن عليها الأرواح النجسة.**

فسألته ما الذي يُثبِت ذلك. والجواب كان: أنَّ القلاية امتلأت بعد الصلاة برائحة لا تُحتَمَل أَشْعَرَتْهُ بأنَّهُ يختنق، ويعجز عن التنفّس روحيًا. سألته عمّا إذا كان هذا الحدث غير عادي بالنسبة له أو إذا كانت هذه هي الطريقة التي بها يجيب **المسيح** عن الحالات المماثلة، **فأكَّد** لي بأنَّ «**كل المسائل المتعلّقة بالشعوذة والأرواح الخبيثة، ينوّرني المسيح** بهذه الحالة. في بعض الأحيان يكون الجواب **منطوقًا**، لكن في هذه المسألة، **هذا كان جوابه**، وأنا واثق بشكل مُطلَق **بأنَّ الحركة المسكونية** ليس فيها **الرُّوح القُدُس بل روح خبيث**».

يمكن للمرء أن يقول بأنّ ما أقوله في هذه اللحظة **هو لغاية ما**، وله طابع الانطباع المتعمَّد. ولكن أريد أن أذكر بأنني شعرتُ بسعادة غامرة، لأن ما قاله لي **الشَّيخ** شخصيًا، قد يعتبره البعض تسجيلًا من «حاشية» تُقَوِيَّة لشخص سبق أن نشر كتابًا تذكاريًا عن **شخص الشيخ وروحانيته وكلماته**. لذلك، ما قد تمّ التصديق عليه هناك تمّ التحقُّق منه من قِبَل لاهوتيين ثُقات، صادف أن سمعوا هذا الكلام شخصيًا.

لم أذكر هذا عَلَنِيًا إلى الآن، لكن الأمور اتّخذت منحى أَلْزَمَنِي على ذلك. بالطبع هذه الحادثة لَعِبَت دورًا مصيريًا في تكوين موقفي **من الحركة المسكونية**. كأستاذ وعالِم، أنا طبيعيًا مُلْزَم بِتَفَحُّص كُلّ المسائل على أساس المعايير العلمية، وتقديم الدليل العلمي، وهذا ما أقوم به في تعليمي، خطوة خطوة. مع هذا، أنا أعتبر هذه الشهادة ذات أهمية **لأنها صادرة بطريقة مواهبية عن رجل لم يكن يعرف شيئًا عن الموضوع**، لم يقرأ ولم يسمع عنه، ومع هذا شهد بخبرته الروحيَّة. أظن أن الأشياء تحكي بنفسها هنا.

كيف يجب أن نرى علامات الأزمنة اليوم

القدّيس إغناطيوس بريانتشانينوف

إعداد راهبات دير مار يعقوب الفارسي المقطّع، دده – الكورة

ما هو الفرق بين علامات السيّد المسيح وعلامات ضدّ المسيح؟

يخبرنا الكتاب المقدّس أنّه **قبل المجيء الثاني للسيّد المسيح**، ستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم والبحر: «وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. مِنْ عَجِيجِ الْبَحْرِ وَجَيَشَانِهِ» (لوقا ٢١: ٢٥).

وبالمقابل، يقول لنا بأنّ **ضدّ المسيح** أو **المسيح الدجّال** سيصنع علامات عظيمة في الشمس والقمر والنجوم والهواء، فكيف لنا أن نميّز بين هذه العلامات، أي كيف نتحقّق صحّة العلامات التي سيقوم بها **المسيح الدجّال** من العلامات التي سبق وقال لنا عنها **السيّد المسيح**؟

إنّ علامات **السيّد المسيح** ستكون حقيقيّة، فيما علامات **ضدّ المسيح** ستكون، فقط، ظاهريّة تخدع حواسّ البشر. علامات **ضدّ المسيح** سيقوم بها هو نفسه أو أحد رُسُله، فيما العلامات في الشمس والقمر والنجوم... أي العلامات التي تعلن لنا حضور **المسيح الثاني** ستكون من تلقاء ذاتها من دون أيّ وسيط لإجرائها.

كواكب السماء ستكون قد أكملت الهدف الذي من أجله خُلقت، والذي حدّده لها خالق الكون بأن تنير العالم: «وَقَالَ اللهُ:لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ.» (تكوين١: ١٤-١٥). مع العلم بأنّ هذه الكواكب سبق لها أن أكملت دورها: **ففي ميلاد المسيح** ظهر النجم الغريب الذي دلّ المجوس على مغارة **الطفل الإلهيّ**: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ» (متّى ٢: ٢). وفي **صلب السيّد المسيح** أخفت الشمس أشعّتها في وضح النهار تحت ستار مُظلم كي لا تعاين **صلب خالقها**: «وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.» (متّى ٢٧: ٤٥). ولكن في **المجيء الثاني** ستؤدّي هذه الكواكب والأجرام هدفها بطريقة أكمل بواسطة العلامات التي ستعطيها.

إنّ **الإنجيليّ متّى** يخبرنا أنّه بعد **الضيق الذي سيحصل من جرّاء تسلّط المسيح الدجّال** سيوافي، للحال، حضور **المسيح، ابن الله وكلمته**، وستكون علامات حضوره كالآتي: « وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ

مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ.» (متّى ٢٤: ٢٩-٣٠).

ويشير **القدّيس ثيوفيلكتوس البلغاريّ** إلى أنّ كواكب السماء لن تسقط، وإنّما ستبقى ثابتة إلى حين في مكانها، ولكن ستبدو في نظر الناس أنّها سقطت من الفَلَك السماويّ. إذ سينتشر، حينئذ، على الكون كلّه نور سماويّ مبهر يعلن للعالم قُرب **حضور الرَّبّ بمجدٍ لا يوصف**، ولن يُميَّز هذا النور عن بقيّة الأجسام السماويّة، ولذلك يظنّ الأغلبيّة بأنّ الكواكب المنيرة آخذة في التساقط.

إنّ تعاليم الكنيسة، وبالأحرى **تعاليم الآباء القدّيسين**، لم تغفل عن ذكر العجائب والعلامات التي ستحصل في آخر الأزمنة، وهي تعاليم دقيقة صحيحة واضحة. فالكنيسة ترى أنّ العلامات الحقيقيّة تساعد المؤمن على **معرفة الله، أساس الخلاص**، معرفة أكثر عُمقًا، فيما **ستزيد العلامات الكاذبة من الضلالة، وستقود، تاليًا، إلى الهلاك، لا سيّما وأنّ العلامات التي سيجريها ضدّ المسيح ستأخذ شكل القوّة والعظمة، وسوف تجذب الناس إليه، فيعترفون به ويقبلونه كإله بينما هو في الحقيقة مُرسَل من الشيطان لتضليل المؤمنين.**

إنّ العلامات الحقيقيّة تكون، عادة، مصدر تعزية وتشجيع في الدرب الروحيّ، ومساعدة قويّة للخلاص. إنّ هذه العلامات تكون بسيطة، وتقودنا إلى معرفة **الله المتجسّد** بسهولة، بما أنّها تشهد لصلاحه وتواضعه، وتُقَوّي إيماننا بأنّه **هو الكلمة، الله**.

لكي يسترجع الله الآب الصلة المقطوعة مع الإنسان الساقط، سُرَّ أن يتّخذ **كلمتُه الجسدَ البشريّ**، وأن يظهر بين الناس، وأن يخالطهم، وأن يوطّد علاقته بهم لتغدو علاقة حميمة متينة، وأخيرًا أن يُصعِدهم معه إلى السماء. ولكن، ولو أنّ كلمة الآب لَبِسَ الجسد البشري، إلّا أنّه يبقى كلمة الله، ويعمل ككلمة الله بحسب ما تقتضيه **طبيعته الإلهيّة وعظمته**. لقد جلس عن يمين الآب **بطبيعته البشريّة** الذي سبق له أن اتّخذها **من البتول مريم**، ومع ذلك فهو حاضر في كلّ مكان بما أنّه **الله**، حتّى في الذهن والقلب والجسد، وَيجعلهم متّحدين معه **بالرُّوح القُدُس** ويؤلّههم.

ولذلك، فإنّ عجائب **المسيح** تساعدنا على اكتساب معرفة عظمة ابن الله، فكلمة الله هو الواحد الأحد الذي ندين له بأجمعنا، ونحتاج إليه كلّنا: «وَإِنَّمَا الْحَاجَةُ إِلَى وَاحِدٍ.» (لوقا ١٠: ٤٢). إنّ **كلمة الله** جاء ليتمّم **الخلاص للجنس البشريّ**، ومعرفته تدلّ عليها أعماله، هذه المعرفة التي تُعطي الإنسان المسيحيّ نقاوة القلب، وتشعّ في حياته الروحيّة كما تتلألأ الشمس في كبد السماء الخالية من الغيوم.

إنّ شروق الشمس بعد ظلمة الليل الداجي، تجعل رؤية الأشياء تختلف وتتغيّر، فبعض الأشياء التي كانت غير مرئيّة تصبح مرئيّة، والتي كانت مرئية ولكنّها مختلطة، تبدو بظهور الشمس متمايزة ومنفصلة. وهذا لا يحصل لأنّ الأشياء تتغيّر، فهي ثابتة لا تتغيّر، بل نظرتنا إليها هي التي تتغيّر، والسبب في ذلك انتقالنا **من الظلام إلى النور**. وهذا ما يحصل، تمامًا، في علاقة ذهننا مع الأمور الروحيّة، فعندما يُنار الذهن بنور المعرفة الإلهيّة التي يسبغها علينا الرُّوح القُدُس، يستطيع، عندئذ، أن يكمل مسيرته غير المنظورة نحو الله. فقط بنور المعرفة الروحيّة نستطيع الهرب **من الضلال**، وتاليًا **من الهلاك**. فإنْ فُقد هذا النور، فُقِدَت معه الحقيقة وكلّ فضيلة تروق في عينَي الله، ويصبح الخلاص لجنس البشر **عسيرًا**، لكون هذا النور هو الذي يُدخل الإنسان إلى المظالّ الفردوسيّة. وعندما ينير هذا النور بصر الإنسان الروحيّ، عندها يستطيع أن يَعِي بأَجْلَى بيان حقيقة العجائب والعلامات، وعندها يستطيع أن ينجو من المظاهر التي تجرفه وتغويه لكونه أدركها بمفهوم بشريّ بحت.

ولا بدّ لنا أن نشير إلى أنّ لعجائب الإله المتأنّس دورًا في **خلاص البشر**، فهي تهيّئ النفوس لقبوله والإيمان به، هو الذي سبق أنْ قال لنا: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متّى ٢٨: ٢٠).

من هم الذين يطلبون العجائب؟

من المعلوم أنّ العجائب والآيات رافقت في القديم كرازة الرُسُل أو مع معادليهم واقترنت بها. ثمّ بقيت العجائب تحدث بواسطة أشخاص صاروا، بجهادهم وبنعمة الله، **أواني مختارة للروح القدس**. ولكن، لا بُدَّ أن نشير إلى أنّه مع مرور الوقت فسدت الأجيال تدريجيًّا فسادًا مُريعًا، وَنَدَرَ وجود أشخاص **متوشّحين بالله**، حتّى وصلنا إلى وقت غاب وجودهم كلّيًّا أو كاد. وهكذا خسر الناس، بفقدهم، روح التُّقى واحترام كلّ ما هو مقدّس، وأضاعوا التواضع الذي يجعل الإنسان يرى نفسه غير مستحقّ لاجتراح العجائب فقط، بل ولأن يراها أيضًا، فصار عَطِشًا إليها أكثر من أيّ وقت مضى. الناس اليوم **سُكارى بحبّ الأنا والاعتماد على الذّات، والذراع البشريّة وعبيد للجهل والهوى، يجرفهم طيش لا يُقهر ولا يُغلَب لكلّ ما هو غريب وجديد لا سيّما العلامات والعجائب**، وهنا **يكمن الخطر الجسيم في دكّ أسس الحياة الروحيّة الصحيحة وإمكانيّة الخلاص.**

* **عن اليونانيّة من كتاب العلامات والعجائب.**

من أقوال القديس رومانوس

لنفتّشْ في الكتاب المقدّس عمّا يَهب من النِّعمة وعمّا يتضمّن من المعنى، إذ إنّه الدليل الذي يُفضي بالجميع إلى الرَّجاء الذي لا يَبلَى: هذه هي فائدة كلّ الكتاب الموحى به من الله. فَلْنَخُرَّنَّ إذًا عند قَدَمَي المسيح مخلّصنا ولنصرخْ إليه بورعٍ قائلين: « يا ملك الملوك ومحبّ البشر، امنح المعرفة للجميع، وأرشدنا في سبيل وصاياك لنعرف طريق الملكوت، إذْ هي التي نصبو إلى سلوكها ليكون لنا أيضا الإكليلُ غيرُ الفاسد».

مِنَ الواضِح أنَّ البَشريّة تواجِهُ مشاكل كثيرة، تزداد مع الزَّمن، وتُحدث اضطرابات عميقة في نفوس جميع البشر. ولا ضرورة للتأكيد، أنّنا لا نقدر ولا يحقّ لنا البتّة، **نحن المسيحيّين**، أن نطرح جانبًا هذا العالم **الغريب القلق والمجهول المصير**، لأنّ **السيِّد المسيح** انخرط في العالم، ونحن خاصّته جسده (جسد المسيح السِّرّي) ننتمي إلى هذا العالم، عالم المعلوماتيّة الذي يطرح على عقولنا وقلوبنا ونفوسنا مسائل تتوسّع يومًا بعد يوم. فالعِلم يتقدّم بسرعة، يتزايد يوميًّا، ويفوق ما يتمكّن إنسان اليوم، بل إنسان الغَد، من إدراكه وفهمه واستيعابه.

هناك اكتشافات علميّة كثيرة بالغة السرّيّة، لم تُعلن بعد، يمكنها أن تصنع من الإنسان رجلًا آليًّا، لا بَلْ يقال إنّه سيصبح من الممكن تحويل الإنسان وراثيًّا وإخضاعه **لغسل الدماغ**، ومع ذلك يبقى الإنسان سِرًّا. هو في جوهره **سِرّ إلهيّ**. والقول الذي سيبدو غريبًا هو أنَّ ما يستطيع مساعدة الإنسان العصريّ على اكتشاف أجوبة عن **سِرّه الذاتيّ**، **وسرّ الذي خُلق على صورته**، هو: **الصمت والخلوة وبكلمة واحدة الصَّحراء**. فالإنسان العصريّ بحاجة إليها أكثر ممّا كان يحتاج إليها **الزُّهَّاد** في الماضي.

إذا أردنا أنْ **نشهد اليوم للمسيح بين الناس**، حيث تخضع ذواتنا **لإغراءات لا نهاية لها**، فإنّنا نحتاج إلى الصمت. إذا أردنا أن نكون دائمًا مستعدّين لخدمة الغير، لا ماديًّا فقط، بل عن طريق التعرُّف إليه ومصادقته وتفهّمه ومحبّته من دون حدود، فإنّنا نحتاج إلى الصمت. لكي نتمكّن من استقبال القادمين إلينا، بفرح ودون كَلَل، وأن نُقدّم لهم **لا المأوى والخبز فقط، بل القلب أيضًا**، فنحن نحتاج إلى الصمت.

إنَّ صمت الإنسان الحقيقيّ هو التماس **الله** والتفتيش عنه. الصمت هو مناجاة المحبّين. الصمت الحقيقيّ **جنّة مُغلَقة**، حيث **تلتقي النفس بإلهِهَا**. الصمت الحقيقيّ هو مفتاح القلب المضطرم بنار محبّة **الله**. هو قصّة حبّ **إلهيّة** لا تنتهي إلَّا في الصمت الخصب، صمت الاتحاد النهائيّ مع الحبيب.

نعم، إنّ مثل هذا الصمت المقدّس، هو **صلاة أعمق من كلّ صلاة**، **صلاة حضور الله الدائم**، حيث النفس، وقد غمرها السلام، تحيا من إرادة ذاك الذي تحبّه حُبًّا كُلِّيًّا وتامًّا. إنّه صمت يتجسّد في محبّة تفيض من دون حساب في خدمة القريب. صمت يشهد **للمسيح** في كلّ مكان وكلّ زمان. ويصبح عندئذ الاستعداد للخدمة لذيذًا وسهلًا، لأنَّ النفس ترى في كلّ واحد وجه حبيبها. واستقبال الضيوف يصبح عميقًا وصحيحًا، لأنّ القلب الصامت هو قلب مُحبّ، والقلب المحبّ ملجأ للعالم.

وهذا الصمت البسيط **المُشبع بالصلاة**، هو مُتاح لكلّ إنسان، هو مُلْكُ كلّ **مسيحيّ يحبّ الله**، هو مُلك جميع الذين بدأت نفوسهم تفتّش عن الحقيقة وعن **الله**. إذ إنّه، **حيث تسود الضجّة الداخليّة والتشويش**، يكون **الله غائبًا**.

الصحاري والصمت والخلوة ليست بالضرورة أمكنة، بل هي **حالات للذهن والقلب**. هذه الصحاري يمكن وجودها في أحداث الحياة اليوميّة العاديّة، يكفي أن نعي حاجتنا الكبرى إليها، ويكفي أن نكون مستعدّين لدخولها، فالاختبار الذي تحمله إلينا يمكن أن يكون غبطة وقداسة، لأنَّ **الله** هو الذي يمنح القداسة **للخلوة والصحراء والصمت**.

من أوائل الخطوات في اتجاه الخلوة هو الابتعاد. ولكن قلوبنا وعقولنا

ونفوسنا تحتاج لأن تكون منسجمة وواعية لهذه الخلوات. ولكي نصبح منسجمين يجب أن نلغي من أفكارنا **مسألة الوقت**. **فالله** لا يهمّه الوقت، لأنّه إذا كانت نفوسنا مستعدّة يمكنه أن يدعوها ويغيّرها ويرفعها خلال لحظة كما يقول **هوشع النبيّ**: « سَأَقُودُكِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَهُنَاكَ أُخَاطِبُ قَلْبَكِ» (هوشع ٢:١٦).

لا **خلوة** من دون **صمت**. غياب الضجّة ليس بالضرورة صمتًا. يمكن لنهار مملوء بالعمل أن يكون نهار صمت. إنّنا عندما نتكلّم عن أنفسنا، ونكون مملوئين من أنفسنا، ننسى الصمت. الصمت هو الحقيقة التي تكمن في المحبة. الصمت كباقي الأمور في مقدوره أن يجعلنا نُعطي أنفسنا، أو بالعكس **أن نصبح عنوانًا للتقتير والبُخل**، إذ نترك ذواتنا لذواتنا. يقول **الكتاب المقدّس** أنّنا سنؤدّي حسابًا عن كلّ كلمة بطّالة نَطقنا بها. وقد **نُطالَب بتأدية الحساب عن الكلمات التي كان علينا أن نتفوّه بها، وبقينا صامتين**.

ولكن قد يتبادر إلى ذِهننا السؤال كيف نتوصّل فِعْليًّا **إلى هذه الخلوة؟** هل بالتوقّف عن الحركة؟ إنّ التوقّف وترك هيجان الأعمال **القَتّال** للنَّفس، يقف ويقع من تلقاء ذاته كرداء بالٍ مملوء غُبارًا، عندما تُقرّر النفس الدخول **في الخلوة**. وبالحقيقة إنّ الانغماس بكثرة الأعمال ما هو **إلّا هَرب من الذّات**، والتهرّب من الدخول في هذه الرحلة الداخليّة، التي يجب على كلّ إنسان أن يقوم بها، ليصل إلى **الله** الحيّ المقيم في أعماق النفس. يمكن للإنسان أن يتوقّف عن كلّ جلبة وضجّة خارجيّة تُحدثها حياته اليوميّة والواجبات المُلقاة على عاتقه والمطلوبة منه. إنّ هذا التوقّف ضروريّ جدًّا لأنّه يُدخل النفس في جو إلهي الذي بدوره **يُولّد الطمأنينة للنفس**، طمأنينة **الله** التي بدورها تُولّد الصمت.

في **الخلوة والصمت والصحراء** يتمّ التوقّف عن الحركة لنلجأ إلى فحص عميق لدوافعنا في الحياة: هل هي، مثلًا، صالحة لتتقبل أُسس القداسة الحقيقيّة؟ إذ إنّ الإنسان يأتي إلى العالم ليصبح قِدّيسًا، عاشقًا للحبّ الذي مات لأجلنا. إنّ **المأساة الحقيقيّة** هي **ألّا يصبح الإنسان قدّيسًا**. فإذا كانت دوافعنا لا تَصلح لوضع أُسس حقيقيّة وصادقة للقداسة، يجب عندئذ على النفس أن تُعيد النظر في كلّ شيء من أساسه، ولن يفوت الوقت أبدًا من أجل **انطلاقة جديدة**.

في **الخلوة والصمت والصحراء** يتمّ رفع القلب والأيدي نحو **الله**، من أجل الطلب إليه أن تَهبّ عاصفة روحه القدّوس، لِتُنَظِّف النفس من **كلّ خوف وجبن وأنانيّة وجشع وكسل**... والطلب إليه أنْ تنزل ألسنة ناريّة لتمنح النفس **شجاعة الانطلاق من جديد، شجاعة البداية في كلّ لحظة في طريق الجهاد**.

والغريب أنّه عندما يقيم الصمت إقامة دائمة في النفس، على غِرار ما حدث **لمريم أخت لعازر** عند قَدَمَي **المسيح**، يصير الكلام أسهل للذين أصبحت نفوسهم متخشّعة تمامًا في هذا الصمت، ويصبح العمل أسهل، ومعاملة الناس ملأى بالرِّفق والوداعة والصبر. وتشعّ المحبّة في كلّ عمل وكلّ كلمة. وشيئًا فشيئًا، وبطريقة خَفِيّة غير ملحوظة، يتغيّر العالم من حولهم، لأنّ صمتهم يصبح جُزءًا من صمت **الله**، صمتًا مُحبًّا، قويًّا، مُثمِرًا. يُسمِع **اللهُ** صوتَه من خلالهم، ويُرى **وجهُه** في وجوههم، ويصبح **نوره نورًا مشعًّا** من خلالهم لكلّ قريب. وهكذا يأتي الصمت بالسلام للجميع، ويأتي الحبيب من جديد ليسكن في ما بيننا قائلًا: نعم، «توقّفوا، اعلموا أنّي أنا الله» (مز٤٦:١١).

ولكن يطرأ هنا **خطرٌ** لا بُدَّ أن نذكره: فكما أنّنا لا نعرف في كثير من الأحيان أن نميّز بين الصمت **والعزلة الماديّة**، قد لا نعرف أن نميّز بين **الصلاة والخلوة**. فهاتان وجهان مختلفان للحياة الروحيّة. فالصلاة هي، ولا شكّ في ذلك، حياة كلّ مسيحيّ. وبدون الصلاة، وبدون علاقة مع **الله**، تتلاشى هذه الحياة. نسمع كثيرين في أيّامنا يفكّرون بقصد مراكز يستمتعون فيها بالصلاة، بأماكن يجدون فيها العزلة الماديّة، الخلوة الروحيّة. لهؤلاء نقول: اقبلوا أوّلًا **بخلوة قلوبكم**. **فالصلاة** كالصمت، كالخلوة هي أوّلًا مسألة دخول إلى أعماق النفس، عَلَيَّ أن أَلِج إلى داخلي لألتقي بالثالوث المقيم فِيَّ. الصلاة أمر داخليّ، والقلاّية هي بالحقيقة قلب الإنسان حيث يعلّمه الرُّوح كيف يُصلّي. قد تُساعد الخلوة على الصلاة وقد تصبح مَهدًا للصلاة. ولكن بشكل عامّ لا تتطلب الصلاة مكانًا جغرافيًّا خاصًّا لأنّها هي علاقة **محبّة بين الله والإنسان**، كما لا تَتَطَلَّب الخلوة أيضًا مكانًا جغرافيًّا، فقد أكون في خلوة داخليّة وأنا في وسط الناس. فمن الخطأ إذن الخَلْط بين الصلاة والخلوة، والقول إنّ الخلوة ضرورة للصلاة. بل بالأحرى القول إنّه من المُستحسن أن يضع المرء ذاته من وقت لآخر في خلوة. فالصلاة هي عمل دائم للعطاش إلى **الله**، أما الخلوة فيجب أن تبقى محصورة في وقت مُحدَّد لِئَلّا تفقد معناها فتصبح **هَرَبًا من الأعمال، هَرَبًا من الآخرين، هَرَبًا من الحياة**، وهذه طبعًا كلّ شيء إلّا **الخلوة والصمت والصحراء**. لأنّه من المستحيل أن أُصَلّي حقًّا إذا لم أحدم أخي، وإلّا أصبحت **كالكاهن واللاّوي** اللذين لم يتوقّفا أمام **الرجل الذي جرحه اللصوص**.

الصلاة، الخلوة، الصمت هي مصدر لفرح روحِيّ لا يُعبَّر عنه. فإذا **ٱلْتَقَيْتُم** يومًا **بناسِكٍ أو براهبٍ شاحب الوجه، حزين على الدوام**، تَيَقَّنوا أنّه **ليس ناسكًا حقيقيًّا**. الروحيّون هم أكثر الناس فَرَحًا ولو كانوا في عمر السبعين، لهم عيون الأطفال، **وهم مملوؤون من فرح عشرة الرَّب**. لا يمكن غشّ الناس بالمظهر، لأنّ المسألة مسألة حضور **الرَّب** في النفس، وحضوره حضور مُشعّ بالغبطة والفرح الهادِئَيْن.

إنّ أوّل ما يَدخل **المجاهد** إلى الخلوة سَيشعر إلى حدٍّ ما **بضجّته الداخليّة، إلى جمع أفكار تهاجمه كالذباب، أفكار من كلّ نوع** إلّا الأفكار التي تخصّ **الله**. وهذا أمرٌ طبيعيّ لأنّنا أناس عَقلانيّون مليئُون بالمعلومات من كلّ نوع، فنحن نحتاج إلى وقت طويل قبل التوصُّل إلى طَيّ أجنحة العقل وفتح باب القلب. وهنا دور الخلوة: إنّها تدخلنا إلى أعماقنا ثم تجعلنا في اتصال مع **الله**. لا يهم بماذا تشعرون، حتى إذا لم تشعروا بشيء أيضًا إذ يكفي أنكم أتيتم **للقاء الله في موعد شخصيّ**.

المهمّ هو إسكات العقل الذي بنى العديد **من أبراج بابل ولا يزال في كلّ لحظة يبني**. افتح باب القلب للقادر وحده أن يتقبلك كما أنت. إنَّ **صحراء وخلوة النسّاك والرهبان** هي في داخلهم أي في روحهم المتخشّعة دومًا، المُتَطَلِّعَة بِحُبٍّ نحوه فقط. ومن هنا يعرف **الراهب** كيف يمكث في **الصمت والخلوة والصحراء** حيث توجد **الصلاة الحقيقيّة**، وحيث تنتظره زيارات سرّيّة ينعم بها ومنها يستمدّ القوّة **لاستمرار جهاده**.

وأخيرًا إنَّ **الصحراء والخلوة والصمت** سيجردوننَا من الأنا، وربّ الصحراء أيضًا سوف يُجرّدنا. ولكنّنا **سنمتلئ من الطمأنينة الصادرة عن الله**. في **الصحراء والخلوة والصمت** نلجأ إلى **الصوم والصلاة** وهكذا **نموت** عن أنفسنا **لينمو المسيح** فينا بطريقة أسرع، ونتمكّن من إعطائه إلى العالم بطريقة أسرع، هذا العالم المُتَعَطِّش إليه أشدّ العطش. ألَا أَهَّلَنَا **الله** لنعيش الصمت الحقيقيّ والخلوة الحقيقيّة عسى أن يرتسم نوره علينا فننقله للآخرين آمين.

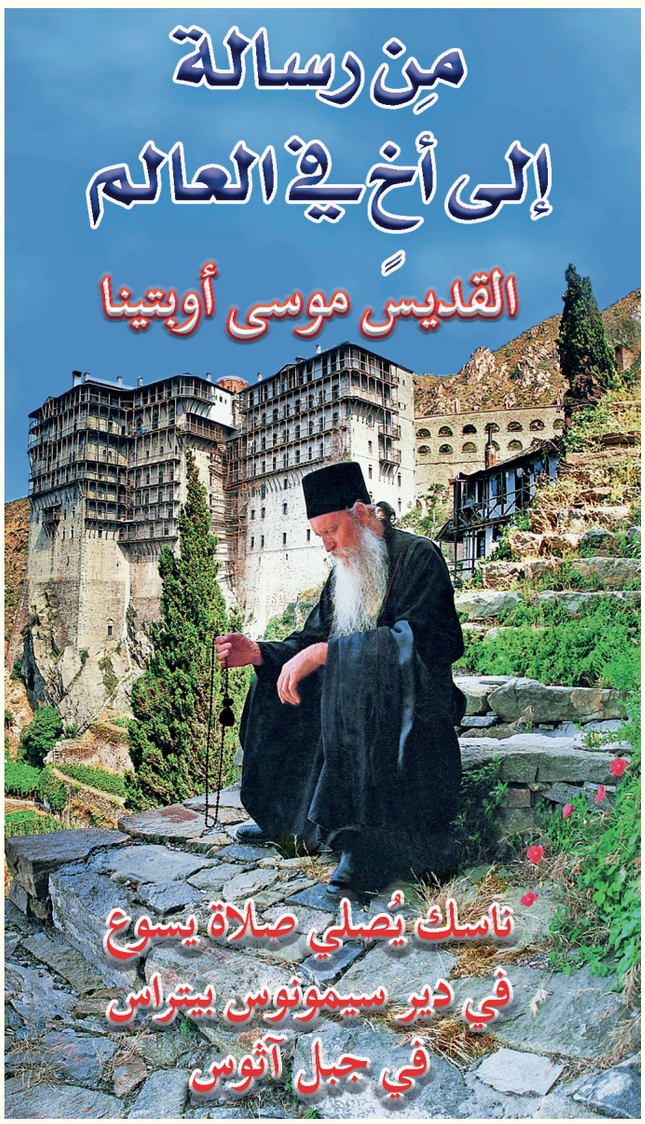

يا أخي، تَصَوَّرْ دائمًا هذه الحقيقة لنفسك: أنّ ما يزرعه الإنسان في هذه الحياة يجنيه مئة ضعف في الحياة الآتية. وامتحن ذاتك يوميًا على أساس هذه الحقيقة، ماذا بَذَرْتَ للحياة الآتية، **أقمحًا أو أشواكًا؟** وبعد امتحان نفسك، اعتزم على فعل ما هو أفضل في اليوم التالي، وَعِشْ حَياتك كلها على هذا النحو. إذا كنت قد قضيت اليوم بشكل سيئ، بدون صلاة الى الله كما يجب، ولو للحظة واحدة دون شعور بالنَّدَمِ من القلب، من دون أن تُواضع نفسك عقليًا، دون أن تُظهر العطف أو الصدقة لأحد، من دون مسامحة شخص ما على خطأ، دون احتمال الإهانة بصبر، بل بدلًا من ذلك أفسحت الطريق للغضب ولم تُظهِر أيّ ضبط للنفس في الكلام أو في الأكل والشرب، أو إذا تركت عقلك يُعمَر في الأفكار النجسة – عندما تقوم بمراجعة كل هذا في عقلك، أدِنْ نفسك وفقًا لضميرك واعقد النية في اليوم التالي على أن تكون أكثر انتباهًا إلى ما هو خير وتحترس أكثر مما هو شَرّ.

وهكذا، انتبه أكثر من أي وقت مضى **لِحَقْلِكَ**، أيها العزيز، ونظّفه **من الشَّوك**، واحذرْ كمسيحي حقيقي من العمل فقط **للطعام البائد**، بل لذلك الذي يدوم إلى الحياة الأبدية (يوحنا ٦:٢٧). **إذ ماذا نكسب إذا كنّا أرضينا ذواتنا تمامًا في هذه الحياة بالشَّرف والمجد والثروة وجميع أنواع الملذات**، ولكننا أفرغنا روحنا من ثمار الرُّوح القُدُس، فَنَمْثُل **أمام الله مجرّدين** مثل شجرة غير مثمرة يابسة تلقى في النار (متى ٣:١٠)؟ بِرَجُلِك الخارجي قدّم ما لقيصر لقيصر (مرقس ١٢:١٧)، أما بِرَجُلِك الداخلي فحدّق دائمًا نحو الله وتأمّلْ ناموسه، والله **سيكون معك**.

أكثر من أي شيء آخر، أخشى أن تتأذى من الرِفقة السيِّئة. الرفيق الذي لا يفكّر إلَّا بالنساء والأوقات الطيبة **هو رفيق سيِّئ بالتأكيد**. إذ كما يقول الكتاب، « الْخَمْرُ وَالنِّسَاءُ تَجْعَلاَنِ الْعُقَلاَءَ أَهْلَ رِدَّةٍ» (ابن سيراخ ١٩:٢). ابتعد عن مثل هؤلاء الناس، فالعادات الرَّخوة والشهوانية تتجذَّر فينا بسرعة وسهولة، وأنه من الصعب جدًا التَّخَلُّص منها. قلّة هم الذين يُحرِّرون أنفسهم تمامًا **من العادات الشريرة**، ومعظمهم قد انهوا حياتهم **في هذه الأهواء إلى حين دينونتهم الأبدية**، فليُجَنِّبْنَا إياها **الرَّب الرحيم**، أنتَ وأنا. أنا على ثقة أنّ فيك روح مخافة الله التي تُمكِّنك من حماية نفسك **من الخطيئة والاسترشاد نحو الفضيلة**. هذه القراءات التي أبعث بها إليك يمكن أيضًا أن تساعدك في هذا المجال. احفظ هذه المبادئ قدر استطاعتك، وبالتأكيد «يتجدد كالنَّسر شبابك».

أما بالنسبة لي، فأنا أعيش منفردًا في نفس المكان كما من قبل. **المجد لله! أنا في صحة جيدة ومحفوظًا بنعمة الله.**

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس متّى الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (متّى ٣:١٣-١٧)

في ذلك الزمان أقبل يسوع من الجليل إلى الأردنّ إلى يوحنّا ليعتمد منه. فكان يوحنّا يمانعه قائلًا: أنا محتاج إلى أن أعتمد منك أَوَأَنت تأتي إليَّ! ✻ فأجابه يسوع قائلًا: دعِ الآن فهكذا ينبغي لنا أن نُتمّم كلّ برٍّ. حينئذٍ تركه ✻ فلمّا اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلًا مثل حمامة وحالًّا عليه ✻ وإذا صوتٌ من السماء قائلًا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت.

● **«في ذلك الزمان أقبل يسوع من الجليل إلى الأردنّ إلى يوحنّا ليعتمد منه.»** (متى ٣:١٣).

جاءَ **السَّيِّدُ** مع **العبيد**، **القاضي** مع **المحكوم عليهم**، **لكي يَعْتَمِد**. مع ذلك، أقول لك لا تَضْطَرِب: فيما بين هؤلاء الوضعاء **يَسْطَعُ سُمُوُّه**. إقْتَبَلَ أن يُحبَل به في **أحشاء العذراء** لزمنٍ طويل، وأن **يُولَد** منها **بجسدٍ طبيعتنا البشرية**، وأنْ يُضْرَبَ، وأنْ يُصْلَبَ، وأنْ يُكابِدَ الآلام كلّها. إذًا، لماذا تتعجَّب إذْ تراهُ يَقْتَبِلُ المعمودية ويأتي مع الاخرين مُتَّجِهًا **نحو عَبْدِهِ؟ المُذهل في الأمر** هو الآتي: **يريد أن يصير إنسانا بينما هو الله**. كُلّ شيءٍ آخر يتبعُ بصورةٍ منطقيَّة. لذلك بالضَّبط كان **يوحنا** يقولُ مُسبقًا: «إِنِّي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سَيْرَ حِذَائِهِ» (لو٣:١٦)، وغيرَها، مَثَلًا: **إنَّهُ القاضي وسوف يجازي كل واحد حسب استحقاقه، وسوف يمنح الروح القدس للجميع بغزارة**. لذلك، عندما تراه آتِيًا إلى المعموديَّة، لا يَقْرَبَنَّ فِكرك **شَكُّ البساطة**. لذلك، عندما **اقتربَ السَّيِّدُ من العبد**، مانعه هذا الأخير قائلًا:

● **«أنا محتاج إلى أن أعتمد منك أَوَأَنت تأتي إليَّ؟»** (مت ٣:١٤).

معموديَّة يوحنا كانت للتوبة، وللحثِّ على الاعتراف بالخطايا. حتى لا يَظُنَّ الواحدُ أنَّ السَّيِّد يأتي من أجل كل ذلك، يستدرك **السَّابق** الأمر ويدعوه أَوَّلًا **«حمل الله» ومخلِّص العالم من الخطيئة كلها**. طبعًا الذي بإمكانه أن يرفع خطيئة العالم كلّها، ينبغي له أن يكون بلا خطيئة. لم يقل: «هوذا الذي بلا خطيئة»، بل قال بالحَريّ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو١:٢٩). هذا لكي تتقبَّل كُلَّ مَا يَجري أمامك. وإضافة إلى ذلك، أن تتحقَّق أنه يأتي إلى المعمودية لكي يُتَمِّمَ تدبيرًا آخرَ وأبعَد. لذلك عند **اقتراب السَّيِّد من يوحنا**، قال له هذا الأخير: أوأنتَ تطلب المعموديَّة؟ خشي أن يقول له ذلك. ماذا قال؟ «أَوَأَنت تأتي إليَّ!».

ماذا فعل يسوع؟ عمل كما سوف يعمل مع **بطرس**. كان هذا الأخير يمانعه أن يغسل رجليه، لكن عندما سمع الكلمات التالية: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو١٣:٧)، وأيضًا: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». (يو١٣: ٨). عندما سَمِعَ **بطرس** كلَّ ذلك استسلم وَبَدَّل موقفه. كذلك **يوحنا المعمدان** عندما سَمِعَ قولَ السَّيِّد: «دَعِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ» (متى٣:١٥).

عند ذلك أطاعَ للحال، لأنَّه مع **بطرس** لم يكونا معترضين للنهاية،

بل أظهرا محبّةً وطاعة لكلِّ ما كان يصدر عن السيِّد. لاحظْ كيف يتوجَّه السَّيِّد **ليوحنا**: لم يقل لَهُ: «**هكذا يقتضي العدل أو البِرُّ**» بَلْ قالَ: «هكَذَا يَلِيقُ بِنَا». كان **يوحنا** يعتبر نفسه **غير مستحقٍّ** لمثل هذا العمل، أي لاعتمادِ السَّيِّد **من العبد**، لذلك توجَّهَ إليه **الرَّبُّ**، وكأنه يريد أن يقولَ لهُ: **لن تهرب من ذلك ولن تمانع كون الأمر غير لائق.** دعَ الآن الأُمور تجري كما أُريد، وإضافةً إلى ذلك أقول: هكذا يَليقُ بنا أن نفعل.

لم يقل «**دع الأمر**» وحسبُ، بل أضاف «الآن» لأنَّ الحدث لن يطول. سوف تراني بالشَّكل الذي تَوَدُّ. لكن الآن تقبَّل هذا التنازُل.

وبعد ذلك يشرح لماذا يجرب الأمر كذلك، لكي يُتَمِّمَ النَّاموس بكامِلِهِ. يَظْهَرُ ذلك من خلال عبارتِهِ «كُلَّ بِرٍّ». البِرُّ هنا تَتْمِيم الوصايا. لقد أتمَّ الوصايا الأُخرى كلها. وبقيَت هذه النُقطة الأخيرة. لذلك لابُدَّ من تتميمها. لأَنِّي جئتُ لكي أرفَعَ عنكُم **اللعنة التي تلاحقكم بعد عصيان الناموس**. لابُدَّ لي أوَّلًا من أن أُتَمِّمَ الناموس بكامله، وبعد تحريركم من القضاء، ترتفع عنكم اللعنة المكتوبة عليكم بعد العصيان. ها إني قد أخذت جسدكم وأتيت.

«حينئذٍ تركه ✻ فلمّا اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلًا مثل حمامة وحالًّا عليه» (مت ٣:١٦).

كان كثيرون يعتبرون **يوحنَّا** أهمّ **من المسيح** ؛ لأنَّه عاش مُدَّةً طويلةً في البرية، وكان ابن رئيس كهنة، ويرتدي لباسًا تَقَشُّفِيًّا خاصًّا، ويدعو الكلّ إلى المعمودية، وقد وُلِدَ من عاقر. بينما **المسيح** أتى من فتاة غير معروفة، ولم يكن مَوْلِدُهُ البتولِيّ معروفًا بعد، وقد نشأ في بيتٍ بسيطٍ، وكان يُعاشِرُ الجميع، ويلبسُ اللِّباس العامّ، لذلك كان يُعْتَبَرُ أقلَّ من **يوحنَّا**. لم يكن الشَّعب بعد يعرف شيئًا عن مِيزاته الفائقة الوصف. وجاء اعتماده على يد **يوحنَّا** داعمًا لهذا الاعتقادِ غير الصَّحيح. رأوه واحِدًا من كثيرين أتوا إلى المعموديّة، **وهو أكبرُ من يوحنَّا بكثير، وأعجبُ منه بكثير.**

لذا لكي لا يسود هذا الاعتقاد عند الشّعب، انفتحت السَّموات عند معموديَّتِهِ، **ونزلَ الرُّوح، وَسُمِعَ الصَّوت مع نُزول الرُّوح.**

« وإذا صوتٌ من السماء قائلًا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت.» (مت ٣:١٧).

الصَّوت وحده لم يكن كافيًا، إذ كان السامعون يظنُّون قوله «**هذا هو**» إشارة إلى **المُعَمِّد** لا **المُعَمَّد**، لذلك نزل الرُّوح بشكل حمامة، فَلَفَتَ الأنظار إلى يسوع، وَبَيَّنَ بوضوح إشارة «**هذا هو**» **إلى يسوع المُعْتَمِد (١)**، لا إلى **يوحنَّا المُعَمِّد.**

عدم إيمان اليهود:

أَيُعْقَل أنَّ كثيرين لم يؤمنوا به بعد ذلك كلّه؟ نعم، ففي أيّام **موسى** كانت تَجري عجائب كثيرةٌ، ولئن اختلفت نوعًا عن هذه الأخيرة، وَرُغْم تلك العجائب، تلك الأصوات والأبواق والبُروق، جلسوا وذبحوا **لِبَعْلٍ فاغور**. وهم أنفسهم كانوا حاضرين عند إقامة لعازر من الموت، ورأوا الميت قائمًا، ومع ذلك لم يؤمنوا به، لا بل كانوا يَسْعَوْن جاهدينَ لقتله. لقد رأوا بِأُمِّ أعيُنهم أمواتًا ينهضون، **ومع ذلك لم يؤمنوا وبَقوا خُبثاء.** إذًا، لماذا تتعجَّبُ الآن من كونهم لم يؤمنوا بالصوت الآتي من السماء؟ عندما تكون النَّفْسُ ناكرة للنعمة، مُلْتَوِيَةً، مأخوذةً **بمرَضِ الحسد والغيرة**، لا تَرْتَدِعُ عن أيِّ عمل شّرير، وأيضًا عندما تكون النفس شاكرة تقبل كل شيء بإيمان، ولا تحتاج إلى أية أعجوبة.

لا تَقُل: لِمَ لَمْ يُؤمنوا، بل ٱنْظُر إلى كُلّ ما قِيلَ وَعُمِلَ لكي يُؤمن الجميع. **لقد أَوْرَدَ الله الدفاع على لسان النبي**. كُلّ ذلك جعلَ اليهودَ يهلكونَ بسببٍ منهم، ويُسَلِّمون أنفسَهُم إلى العقاب الأخير. لذا أراد **الله** أن يُميز بين **تدبيره الحسن وخبثهم**، بقوله: «أَيُّ شَيْءٍ يُصْنَعُ لِلْكَرْمِ لَمْ أَصْنَعْهُ لِكَرْمِي؟» (إش٥:٤). كذلك، **أَيُّ شَيْءٍ يُصْنَعُ هنا لم يَصنعهُ؟** وإنْ دخلَ أحدٌ في مناقشةٍ حول موضوع عناية **الله**، يُمكننا أن نلجأ إلى الطريقة الدّفاعيَّة السابقة ضِدَّ الذين كانوا يتهمونه ظُلْمًا بِدَافِعِ شَرِّهِم. أنظروا إذًا إلى العجائب الحاصلةِ الآن، التي تُنْذِرُ بالحوادث المستقبلية. لم يَنْفَتِح الفردوس، بل انفتحت السَّموات. لندع هذا الموضوع جانبًا، ونتابعْ شَرح النَّصّ.

«فلمّا اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له» (مت ٣: ١٦). لماذا ٱنفتحت السماوات؟ لكي تَعْلَم أَنْتَ أيضًا أنَّه عندما تعتمد أنت يحصلُ الأمر نفسه: يَدعوك **الله** إلى الوطن السماوي، ويُريدُ أن يُقنِعَكَ بِعَدَم ٱرْتِباطِكَ بِأَيِّ شيء على الأرض. آمِن ولو لم تَرَ. **فالظهورات الحسية والعلامات السابقة للحوادث الروحية العجيبة تكون من أجل الضعيفي الإيمان**، الذين هُم بحاجةٍ إلى مثل هذه الظهورات المحسوسة، الذين لا يُعْطَونَ أي معنًى للطبيعة اللامادية، بل يُفتّشون دومًا عن الأمور المنظورة فقط. لذلك، عليك، **ولو لم تَرَ** بعد ذلك مثل تلك العلامات، أنْ تَقْبَلَ بإيمان كل ما جرى حتى الآن من البداية. لقد جرى مع الرُسُل صوت ريح عاصفة، وظهرت ألسنة نارية. هذا لم يحصل **من أَجْلِ الرُسُل**، بل **من أجل اليهود الحاضرين**. ولكن، حتى وإن لم تجرِ بعد ذلك مثل هذه العلامات الحسّيّة أمامَنا، علينا أن نقبل أنَّها جَرَتْ مرّةً هكذا بالفعل. لأنّه من أجل ذلك أيضًا ظهرت الحمامة، ودلَّت الحاضرين مع **يوحنَّا**، كما بإصبعِ اليَدِ، إلى **ابن الله**، لكي تَعْلَمْ أنت أيضًا أنَّ الرُّوح القُدُس ينزلُ عليك في وقت المعمودية.

لسنا بحاجة إلى علامات منظورة، بل يكفي أن يتوفّر الإيمان عِوَضًا عنها. **العلامات تَرِدُ** لا **من أجل المؤمنين** بل **من أجل غير المؤمنين.**

لماذا ظهر الرُّوح القُدُس بشكل حمامة؟ الحمامة طائِرٌ أليفٌ طاهِر. وبما أنَّ الرُّوح القُدس هو روح وداعة، لذلك تراءى بشكل حمامة. ومن ناحية أخرى، هذا يذكرنا بقصة تاريخية قديمة، عندما **غَمَرَ الطوفان كل المسكونة، وكاد الجنس البشري أن يفنى**، كانت الحمامة الطائر الذي بَيَّنَ بوضوح **نهاية الغضب الإلهي**، حَامِلَةً في منقارِها غصن زيتون،

كخبر مُفرح يُعْلِنُ السَّلام العامّ. كُلّ ذلك كان رَسْمًا لما سيحدُث لاحِقًا. كانت حالة الناس أَبْشَع بكثير من حالتِهم الحاضرة، وكانوا يستحقُّون عِقابًا أكبر. فلِكَي لا تَيْأَس أنتَ الآن، يُذَكِّرُكَ هنا بتلك الحادثة القديمة: حين كان الرَّجاءُ مفقودًا، وُجِدَ حَلٌّ وَإِصْلَاح. كان الطّوفان في ذلك الوقت تأديبًا، وأمَّا الآن فقد جاء الحلّ عن طريق النّعمة والعطيّة الجزيلة. لذلك ظهرت الحمامة، لا تحمل غصن زيتون، ولكنها تشير إلى الذي **سَيُخَلِّص من كل الشدائد**، وَتُبْسُط أمامنا رجواتٍ صالحة، لأنها لا تُخرِجُ إنسانًا من الفُلْكِ، بل تقودُ بِظُهُورِهِ المسكونة كُلَّها إلى السماء. لا تَحمِلُ غُصْنَ زيتون، بل **البُنُوَّة** للبشر كلهم.

الآن، وقد أَدْرَكْتَ قيمةَ العطيّة، لا تَحْسَبْ أنَّ قِيمةَ الرُّوح ناقِصةٌ، بسبب ظهوره بشكل حمامة. **أسمع البعضَ** (٢) يقول: إنه كما يختلف الإنسان عن الحمامة كذلك يختلف المسيح عن الروح، إذ ظهر المسيح بصورة طبيعتنا الإنسانية، بينما ظهر الرُّوح القدس بصورة حمامة. فَبِمَ نجيب عن كل ذلك؟ **إنَّ ابن الله اتخذ طبيعة الإنسان**، بينما الرُّوح القُدس لم يأخذ **طبيعة الحمامة**. لذلك لم يَقُلِ **الإنجيليّ** أنَّ الرُّوح ظهر «**بطبيعة حمامة**»، بل قال: «بشكل حمامة». ولم يظهر الرُّوح بعد ذلك بهذا الشكل، بل هنا فقط. فإن اعتمدتَ على هذه المقارنة، وحسبْتَ أنَّ شَأْنَ الرُّوح قد صَغُرَ لهذا السّبب، فسوف تجد الشّاروبيم أسمى من الرُّوح بكثير، كسموِّ النّسر على الحمامة، لأنَّ الشّاروبيم ظهرت بشكل نَسْرٍ. كذلك تَجد الملائكة أعلى بكثير، لأنَّهم يَظهرون بشكل بَشَر. لكنْ طبعًا كُلُّ ذلك غَيرُ صحيح. الحقيقةُ شيءٌ والتَّدبير شيء. التَّنازُلُ شيء والظهور العابر شيء آخر (٣).

لا تكن إذًا ناكِرِ الجميل نحو المُحْسِن، ولا تَنْسُب عكس ما يجب أن تُؤَدِّيه إلى الذي وهبك ينبوع الغبطة. حيث تُكَرَّم **البُنُوَّة**، يضمحِل الشَّرّ، وَتُمنحُ الصَّالحاتُ كُلّها. لذلك بالضّبط **ينتهي دور المعموديّة اليهودية وتبتدىء معموديتنا**. ويجري في المعمودية ما يجري في الفصح. ينتهي دور الواحد ويبتدىء دور الآخر. هنا أيضًا، **بعد إتمام المعموديَّة اليهوديَّة تنفتح أبواب معمودية الكنيسة**. ما يجري على المائدة يجري الآن على النّهر.

يؤَكِّدُ على الظِّلّ، ولكنه يضيفُ الحقيقة، **لأنَّ نعمةَ الرُّوح القُدُس كائنة في معمودية يسوع المسيح فقط**، ، بينما معمودية **يوحنَّا** لا تتضمن مثل هذه العطية. ولذلك لم يحصل للمُعَمَّدين الآخرين ما حصل **للرَّب يسوع المسيح**، لأنه هو من سَيُعطي هذه الموهبة.

وإلى جانب كُلِّ ما ذكرناه حتَّى الآن، إعْلَمْ ما يَلي: ليست طهارة المعموديّة هي التي حقّقت مثل هذه العطية، **بل قوّة ذاك الذي يَعْتَمِد**. إذ ذاك فُتِحَت السموات، وَنَزَلَ الرُّوح عليه. إنَّه يُخرجنا **من حياتنا القديمة إلى حياة جديدة**، فاتحًا من أجلنا أبوابَ السماء، وَمُرسِلًا من هناك الرُّوح الذي يدعونا إلى موطننا هناك. لا يدعونا فقط بل يُكَرِّمنا إكرامًا فائقًا. لأنه لم يجعلنا ملائكةً ورؤساء ملائكةٍ، بل أظهرَنا أبناء الله وأحباءه، وهكذا جذبَنا إلى الميراث الذي هناك (٤) ...

---

١) لاحظ كيف يعتني **القدّيس يوحنا الذَّهبي الفَم** اعتناءً شديدًا بإظهار كونِ الشَّخص الرّئيس في حدثِ المعموديّة **هو المسيح وليس يوحنَّا المعمدان** بنُ زخريا، الذي كان الكثيرون يعتبرونه، خطأً، أهم من المسيح. في ما يلي، سيؤَكِّد على الفَرق بين ظهورِ الرُّوح القُدس بشكل حمامة، وظهور المسيح كإنسان.

٢) يقصد هنا محاربي الرّوح القُدُس، وهي بِدْعَةٌ ظهرتْ في القرن الرّابع، تُشَكِّك بِأُلوهيّة الرّوح القُدُس. الآريوسيّون يُعتبرون سابقين مُهَيِّئين لهذه البِدعة. أَهمُّ مُحارِبي الرُّوح القُدُس ظهروا سنة ٣٧٢ ، وانضمَّ اليهم جماعة المُشَبِّهين وجماعةُ التّشابه في الجوهر. على رأسِهم أُسقف سبسطية «**إفماثيوس**».

٣) ظهرت الشّاروبيم بأجنحة نَسْرٍ مع سِتَّة أجنحة، حول عرش مَلِك الكُلّ، كما يقول إفشين القُداس الإلهي.

٤) بعد ذلك ينتقل **القدّيس يوحنا الذَّهبي الفَم** إلى عِظَةٍ طويلة، حاثًّا المسيحيين على عَدَم الارتباط بالعالميّات، بل تذكُّر رسالتهم السَّماويّة.

القديس يوحنا كاسيانوس

يجب أن تكون لدينا الحميّةُ في حِفظ مجموعة الأسفار المقدّسة، وأن نستعيدها في ذاكرتنا بلا انقطاع. إذْ فيما يكون الانتباه منشغِلًا بالقراءة والدرس، لا يعود للأفكار السيّئة سبيلٌ من بعدُ إلى أسْر النفْس في شباكها. ولكن، إن كنتم تبتغون التوصّل إلى معرفةٍ حقيقيّةٍ للكتب [المقدّسة]، فعجّلوا أوّلًا إلى اكتساب تواضع قلبٍ راسخ. فهو الذي يقودكم، لا إلى العِلم الذي يَنفُخ (أنظر ١كو٨: ١)، بل إلى العِلم الذي يُنير بإتمام المحبّة؛ إذْ يستحيل على النفس غير المُطهَّرة أن تفوز بهبة العِلم الروحي... واحترزوا بأبلغ الاهتمام شأنًا من أن تصير حمّيتُكم للمطالعة سببَ هلاك بادّعائات باطلة.

القديس إيلاريون الكبير

إن حياة الإنسان وفكرَه يظلّان في الضلال، أو بالحريّ في ليل عدم الإحساس، ما داما مُلطَّخَين بمُعاشرتهما للجسد، وبقيان من ثمّ في لُجّة الجهل بسبب ثِقَل الطبيعة التي يمتزجان بها...ولكن، كلّما استنار المرء بكلام الله، صار غيرَ قادرٍ على تحمّل ظلمات الجسد هذه وليل هذا العالم. وعليه، فلا نَدَعَنّ هذا التعليم وهذا الكلام الإلهيّ اللذين تلقّيناهما فينا بلا استعمالٍ وبلا جدوى كما لو تحت "المكيال" (انظر متى٥: ١٥)، بل لننشرْ هذا النور في نفوسنا أوّلًا، ثم في جميع الأمم من خلالنا... وفي كل خطوةٍ تقوم بها نفسُنا، لنستعملْ كلام الله كسراج، ولكن كسراجٍ "موقَدٍ" دومًا، ومعَدٍّ دومًا بفطنتنا للقيام بمهمّته.

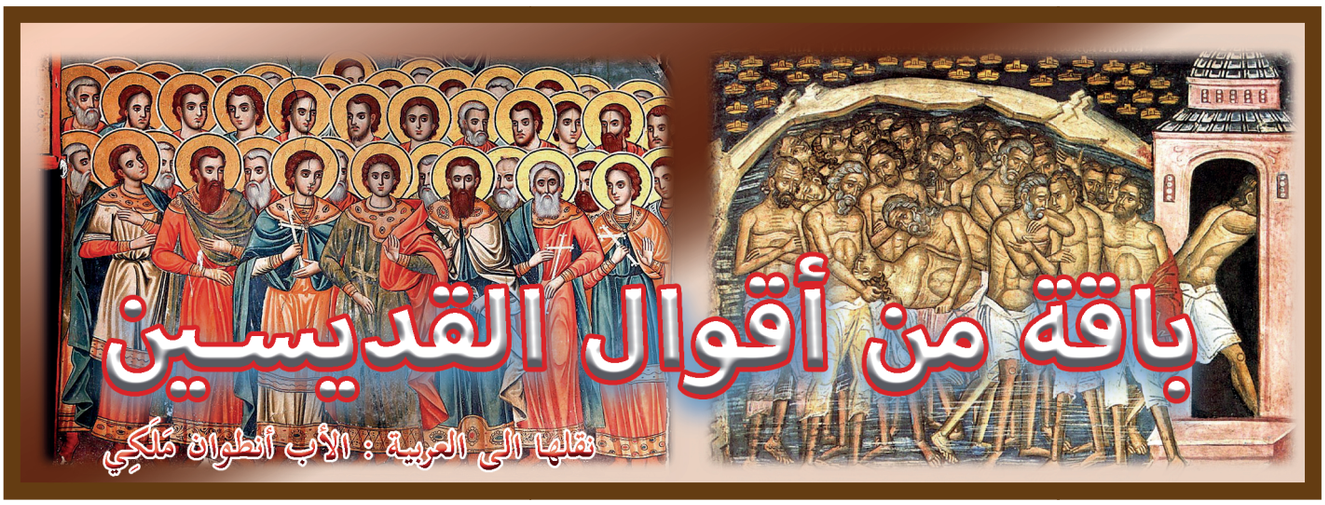

رفع القلب والعقل

الشيخ كليوبا إيليا الروماني

يمكن للنَّاس أن يُصلّوا بلا انقطاع شرط أن يقفوا دائما أمام الله **في القلب والعقل**. ويمكن أن يمارسوا عمل أيديهم، فيما قلوبهم وعقولهم مرفوعة إلى الله. علينا أن نفهم أن حياة الناس هي صلاة غير منقطعة عندما يتحوّل عقلهم نحو الله.

السبيل إلى السلام

القديس نيقوديموس الأثوسي

سبيل تحقيق السَّلام هي كما يلي: أنْ تنسى تمامًا **سقوطك والخطيئة** وَتَهِب ذاتك للتفكّر في **صلاح الله العظيم** الذي لا يوصف، وحقيقة استعداده ورغبته أن يغفر كل الذنوب، مهما بلغت خطورتها، داعيًا الخطأة بطرق متنوعة ليعودوا إلى رُشدهم، وينضمّوا إليه في هذه الحياة، ومن ثمّ بنعمته يتمجّدوا ويكونوا مباركين إلى الأبد.

وعندما يهدأ عقلك بهذه الممارسة كما بالأفكار والمداولات الأخرى يمكنك العودة إلى سقوطك والقيام بما ذكرته أعلاه.

عندما يحين الوقت للاعتراف، الذي أَحَثُّك على القيام به بتكرار، **تذكّر كلّ خطاياك وبألم جديد وغمّ على حزن الله** وبعزم صادق على عدم إحزانه مُجددًا، اعرضْ خطاياك كلها على أبيك الروحي وطبّقِ القانون الذي يعطيك عن طيب خاطر.

المال

القديس غريغوريوس اللاهوتي

عندما استخرج الناس الذَّهب والفضة والأحجار الثمينة من الأرض، وعندما صاروا يصنعون الملابس ناعمة أكثر مما يلزم، وعندما حصلوا على الكثير من الأشياء الأخرى من مثل هذه، والتي هي أسباب **الحروب والثورات والأنظمة المستبدة** ، غرقوا بشكل سخيف من الازدراء.

لذلك، **هم لا يُظهرون أي عطف على أي من أخوتهم البشر البائسين**، ولا هم يريدون أن يعطوا من أموالهم الزائدة لتوفير ضروريات الحياة للآخرين. أي قُسوة هي هذه! أي فظاظة! إذا كان أي شيء آخر، إنهم حتى لا يفتكرون بأن الفقر والغنى والحرية والعبودية وغيرها لم تظهر كلها في الجنس البشري إلَّا بعد سقوط، مثل الأمراض التي تتجلى جنبًا إلى جنب مع الشَّر وهي في الواقع تعبير عن هذا الأخير ...

العين المضبوطة

القديس يوحنا كرونشتادت

القلب هو عين الوجود البشري. بقدر ما يكون صافيًا يزداد وضوح وسرعة وبُعد رُؤياه.

في قديسي الله، وحتى في هذه الحياة، يضبطون عيونهم إلى أعلى درجة ولهذا يرون بوضوح القاصي والداني.

التوبة والتحول

القديس نيقولاوس فيليميروفيتش

التوبة من **دون تحوُّل كامل** ليست أكثر **من مهزلة** أمام الله والرُّوح. لا يليق اللعب مع الله. انه يُظهر رحمة للذين تابوا، ولكن يؤدب بقسوة أولئك الذين لا يتوبون على الإطلاق، أو الذين يقومون بذلك جزئيًا فقط وبتصنُّع. وعندما يضرب الله، يكون الجرح عميقًا جدًا ولا أحد يمكن أن يُشفي منه إلَّا الله نفسه.

الهدف

القديس يوحنا كرونشتادت

إذا كنتَ لا تريد أن **تُستَعبَد للأهواء والشيطان** بشكل يومي، عليك أن تضع لنفسك هَدفًا تضعه دائمًا في الاعتبار، وعليك أن تحاول تحقيقه، والتغلب على كل العقبات بمعونة الربّ.

ما هو هذا الهدف؟ إنه ملكوت الله.

الفصل التاسع – تتمة

فأَضافَ عضو المجلس الآخر، وهو من **سِميرنا** وأستاذ في التعليم العالي:

– وباندفَاع لا حدَّ لهُ.

– أرجوكُما أن تَتوَقَّفَا عند هذا الحدّ، فما تُقولانه لا معنى له. ما معنى «رَجُل مُندَفِع»، ماذا يفعل غير واجبه وعمله؟ ثُمَّ أَلَا يتَقاضى راتبًا لذلك ؟

فَسَعَلَ أمين السرّ وأجاب:

– لكن الأمور كانت سيّئة منذ وقتٍ قريب. هل نسيت الخصومات والقصص الماضية؟

– بَلَى ولكن في ذلك الحين هناك أسباب أُخرى. لا تَكُن كثير التأكيد. أعذِرني فقد نسيت: ما هو عنوان الكتاب؟

– «**الخُلق المسيحي في كنيسة الشَّرق الأُرثوذكسيَّة**». وقد كَتَبَهُ لطلَّاب **مدرسة ريزاريو**. كنتُ أراه في الشتاء الماضي يسهر كُلّ ليلة حتَّى ساعة متأخرة. وقد أنجَزَ الكتاب قبل تراجُع الجيش اليوناني بوقت قصير. ثمَّ بدأ يبحث عن ناشر وعن بعض المشتركين.

– ولكنك قُلت أنَّ الأوساط المطَّلعة قد رَحَّبَت بهذا الكتاب، وقد كَثُرَ الكلام حوله! هذا يعني أنه سيُباع بكثرة وسيعود عليه المال.

– إنَّ الأمر مُختلف بعض الشيء ... فهو يُوَزِّع مُعظم نُسَخ الكتاب. انّه يهبها للطلاب المتفوّقين، لمن يحملون «النّار المقدَّسة » كما يقول، وعلى مَن يودُّون اكتساب المعرفة. وأنتَ تعرف بأَنَّ هؤلاء هُم دائِمًا من الفقراء المعوَزين.

– وما هو موضوع الكتاب ؟

– آه ... لم أقرأه. إذ لم يَكُن لَدَيَّ الوقت لذلك ... لقد قلَّبْتُ صفحاته فقط. انه يبحث في ... القيامة الخُلقيّة للانسان وواجباته.

– وهل دفعت ثمنه على الأقل ؟

– ماذا تقول؟ وهل نحنُ نملك المال لشراء الكُتب في هذه الأيام؟ لقد قدَّمه إليَّ، وحتى أنه كتب لي إهداءً عليه. وفي جميع الأحوال انه يُهديه لكل الذين يطلبونه. وما عليك إلَّا أن تزوره في مكتبه ...

– رغم ديونه التي تكلّمنا عنها ؟

أجَل.

فقالَ آخر:

– كُل ما أعرفه أنه استطاع أن يفرض نفسه على الطلاب بِفَضل طيبته وجدارته فقط. لقد تمكَّن من خَلق ما يمكن أن يسميّه جوًّا نفسيًا من التفاهم المتبادل والعمل المشترك ... الأمر المتواجد في أوروبا، لكن بشكل مختلف.

– بأيّ شكل؟

– لأنَّ تعاليمه تنحدر إلى مستوى التلاميذ ووضعهم.

وأَضافَ أمين السِّر:

– ومع ذلك فإنَّ نكتاريوس شديد الصَّرامة، ولا يبتعد قيد أُنمُلَة عن التقاليد. إلَّا أنَّه ...

وسادَ الصَّمت. فقال أحدهم:

– تابع ... لِمَ تَوقَّفتَ عن الكلام؟ ماذا كنتَ تُريد أن تقول؟

– إلَّا أنَّهُ على خلاف دائم مع المجلس.

فقال **التاجر كاريستوس** ساخرًا، وهو يمسح صدرته بمعصمه:

– هذا ما سمعته أنا أيضًا. ماذا تُريدون؟ انّه راهب من الرأس حتَّى أخمص القَدمَيْن. وهو عاجز عن تَخَطِّي القرون الوُسطَى، في حين أنَّ العالم اليوم هو في ذروة النهضة. هذا ما يؤكِّده ابني، وهو طالب جامعي كما تعلمون. وقد تخَرَّج من جامعة ميونيخ.

– ذروة النهضة ... ولكن أي نوع من النهضة؟.

– لا أعرف بالضَّبط. يمكن أن يشرح لكَ ابني هذا الموضوع، فهو متخصِّص فيه. غير أنه للأسف لا يملك الوقت لذلك! وقد وَعَدَ زُملاءه بكتابة مقال في الصُّحف عمَّا قريب.

– في أيّ خصوص؟.

فصَرَخَ الأُستاذ: بخصوص انتصار العِلم! هذا أمر أعرفه.

فسأل أمين السّر من جديد: وماذا يعني هذا؟

– كلّنا يعلم أنَّ روح القرن التاسع عشر في حالة الاحتضار. في حين أنَّ القرن العشرين الذي يحمل تفوُّق العلوم والرياضيات والاختراعات سوفَ يكون برأي جميع المفكِّرين، عصر انتصار الانسان. فيخضع كل شيء فيه لسلطته المُطْلَقَة. ويتمّ تخفيض نسبة الوفيات إلى الحدّ الأدنَى. ويرتفع مستوى الحياة وتُصبح رهنًا بإرادة الإنسان ومُشاركته في رَكب الحضَارة. ويُصبِح كُل ما يتعلَّق بالخرافات والدّين مُجَرَّد ذِكرى.

وفي هذه اللحظة قال **التَّاجِر** موافِقًا:

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

«... ويكنيسة واحدة جامعة مقدّسة... ؛
وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر ....»

العظة الثامنةَ عشرةَ

العظة الثامنةَ عشرةَ

٣٣) – النبأ بِعظات الاسرار

وبعد يوم الفصح المقدَّس الخلاصي، ستسمعون في كُلّ يوم من أيام الأسبوع، ابتداءً من يوم الاثنين، ان شاء الله، وقد اجتمعتم في مكان القيامة، حالًا بعد القُدَّاس، عِظات اخرى تتعلّمون فيها اسباب كُل حفلة أُقيمت، والأدلّة عليها مُستقاة من العَهدين القديم والجديد. أولًا: كُلّ ما سَبَقَ العمّاد مباشرة، ثمَّ كيف طهَّركم الرَّبُّ من خطاياكم «بِغسل الماء وكلمة الحياة» (افس ٥:٢٥)، وكيف على غرار الكهنة، أصبحتم شُركاء في اسم **المسيح**، وكيف أُعطِيتُم ختم موهبة **الرُّوح القُدس**. وستتعلّمون كذلك اسرارَ العهد الجديد التي جرت في أورشليم وابتدأت من هذا المكان، وما اوردته الكُتب الإلهيّة عنها، وما هي قوَّتها، وكيف يجب الاقتراب منها، وكيف ومتى يمكن تقبّلها. وفي النهاية ستتعلّمون كيف يقتضي عليكم من الآن فصاعدًا ان تتصرَّفوا، سواءً في اقوالكم أو في افعالكم، حتَّى تستحقُّوا النعمة، وحتَّى تستطيعوا جميعًا التمتُّع بالحياة الابديّة. كُل ذلك سيُقال لكم، ان شاء الله.

٣٤) – الدعوة للاستنارة بالعماد

« اذن، ايها الاخوة، إفرحوا دائمًا بالرَّبّ، وأقول لكم أيضًا: إفرَحوا» (فيلبي٤:٤)، «لأنَّ خلاصكم قريب» (لو٢١:٢٨)، **وجيش الملائكة السَّماوي ينتظر خلاصك**، وها هوذا « صوت منادٍ في البريّة: أَعِدُّوا طريق الرَّبّ» (متى ٣:٣). ويصرّح **النبيّ اشعياء**: «ايُّها العِطاش جميعًا هلّموا الى المياه». ثمّ يستطرد فيقول: «إسمعوا لي سماعًا وَكُلُوا الطيّب، ولتتلذَّذ بالدَّسم نفوسكم» (اشعيا ٥٥:١-٢).

وقد سَبَقَ **للنبيّ** ان قال بخصوص أورشليم هذه: «إستنيري إستنيري يا أورشليم الجديدة، فانَّ نورك قد وافَى» (اشعيا ٦٠:١). وقد سَبَقَ **للنبيّ** ان قال بخصوص أورشليم هذه: «وبعد ذلك تُدْعَيْنَ مدينة العدل، القرية الأمينة صهيون» (اشعيا ٢٦:١). لأنَّ من صهيون خرَجَ الناموس، ومن أورشليم خرجت كلمة الرَّبّ وانتشرت في العالم اجمع. وإليها يتوَجّه **النبيّ** مُتحَدِّثًا عنكم: «إرفَعي عينيكِ حواليكِ وانظري، بنوركِ قد اجتمعوا اليكِ» (اشعيا ٤٩:١٨). وهي تُجيب: «مَن هؤلاء الطَّائرون كالسَّحاب وكالحمام الى كواها»؟ (اشعيا ٦٠:٨). سَحاب بالْهِبَةِ الرُّوحيَّة، وحمام بالوداعة والبساطة. وأيضًا: « مَن سَمِعَ بمثل هذا، مَن رأى مثل هذه؟» « أتُنتج أرض في يوم واحد، أم تولَد أمّة في مرّة واحدة؛ فانَّ صهيون أوَّل ما تمخَّضت ولَدت بنيها» (اشعيا ٦٦:٨). كُل الاشياء امتلأت فَرَحًا لا يُوصَف، لأنَّ الرَّبّ قال: «هاءنذا اخلق أورشليم ابتهاجًا وشعبها سرورًا» (اشعيا ٦٥:١٨).

٣٥) – مديح الثالوث الاقدَس

وبودّي أن اقول عنكم الآن: «رنِّمي ايتها السماوات وابتهجي ايتها الارض، اندفعي بالترنيم، ايتها الجبال، فانَّ الرَّبّ قد عَزَّى شعبه ورحمَ بائسيه» (اشعيا ٤٩:١٣). إنَّ هذه الاشياء ستحقق بصلاح الله الذي يقول لكم: «قد مَحَوْتُ كالسَّحاب معاصيكِ وكالغمام خطاياكِ» (اشعيا ٤٤:٢٤). وانتم ستستحقّون اسم مؤمنين، هؤلاء المؤمنين الذين كُتِبَ عنهم: «ويدعو عبيده باسم آخر يكون مُبارَكًا على الارض» (اشعيا ٦٥:١٥-١٦). فتقولون بابتهاج: «تبارك إله ربنا يسوع المسيح وابوه، «باركنا في المسيح كل بركة روحية في السماوات... فكان لنا منه الفداء بدمه والصَّفح عن الزلّات على مقدار نعمته الوافرة» (افسس ١:٣ ، ٧-٨). وايضًا: « لكن الله الواسع الرَّحمة، وقد أحبّنا حُبًّا شديدًا، أَحْيَـانَا مع **المسيح** وكُنَّا امواتًا من جرَّاء زلّاتنا» (افسس ٢:٤-٥). وَبِدَورِكُم سَبِّحوا الرَّبّ صانع كُل خير قائلين: «فلما ظهر لُطفُ الله مخلّصنا ومحبّته للبَشر، لم ينظر الى ما قدّمنا من أعمال البِرّ، بل شاءَت رحمته أن تُخلِّصنا بغسل الميلاد الثاني والتجديد الآتي من الرُّوح القُدُس، أفاضه علينا وافِرًا بيسوع المسيح مخلّصنا، حتى نُبَرَّر بنعمة المسيح ونَرِث في الرَّجاء الحياة الأبديَّة» (تيطس ٣:٤-٧). «أَسأل إلهَ رَبنا يسوع المسيح، أبا المجد، ان يَهِب لَكُم روحَ حكمة يكشف لكم عنه تعالى، لتعرفوه حقّ المعرفة، وأن يُنير بصائر قلوبكم» (افسس ١:١٧- ١٨).

وليحفظكم دائمًا في الاعمال والأقوال والأفكار الصَّالحة. له المجد والكرامة والمُلك بِرَبِّنا يسوع المسيح، مع الرُّوح القُدُس، الآن والى ابد الدهور. آمين.